مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (١١)

التعليقات الإيضاحية

على

القاعدة المراكشية

لشيخ الإسلام ابن تيمية

تأليف
عَبْدالعزيز بنِ عبْدالله الرَّاجحي

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

التعليقات الإيضاحية

على القاعدة المراكشية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذه تعليقات على القاعدة المراكشية، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، وهي في مسألة: الإثبات للصفات، وإثبات العلو على العرش، وقد تلقتها الأمة بالقبول.

وقد تم التعليق عليها في مجالس علمية، تم تفريغها، والعمل عليها وإعدادها في هذه النسخة المطبوعة، وأسميتها: «التعليقات الإيضاحية على القاعدة المراكشية».

أسأل الله ﷻ أن ينفع بها كل من قرأها، أو اطلع عليها.

وأسأل الله تعالى أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يبارك في الجهود، وينفع بالأسباب إنه سميع مجيب،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

القاعدة المراكشية[١]

سئل شيخ الإسلام، فريد الزمان، بحر العلوم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمة الله عليه، عن رجلين تباحثا في مسألة الإثبات للصفات والجزم بإثبات العلو على العرش. فقال أحدهما: لا يجب على أحد معرفة هذا ولا البحث عنه؛ بل يكره له كما قال الإمام مالك للسائل: (وما أراك إلا رجل سوء)[٢]. وإنما يجب عليه أن يعرف ويعتقد أن الله تعالى واحد في ملكه، وهو رب كل شيء ومليكه وخالقه؛ بل من تكلم في شيء من هذا فهو مجسم حشوي. فهل هذا القائل لهذا الكلام مصيب أم مخطئ؟ فإذا كان مخطئا فما الدليل على أنه يجب على الناس أن يعتقدوا إثبات الصفات والعلو على العرش الذي هو أعلى المخلوقات ويعرفونه، وما معنى التجسيم والحشو؟ أفتونا وابسطوا القول بسطا شافيا يزيل الشبهات، مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى.

هذا هو نص السؤال الوارد من بلدة مراكش، **وملخصه**: أن رجلان تباحثا في مسألة إثبات الصفات التي أثبتها الله لنفسه؛ كالعلم

(١) تم إثبات نص هذه الرسالة من الطبعة التي حققها الشيخ/ دغش بن شبيب العجمي، وهذه الرسالة موجودة ضمن مجموع الفتاوى (٥/ ١٥٣-١٩٤).

(٢) انظر: تخريجه ص: ٩٨.

والقدرة والبصر والكلام والرؤية والعلو والعظمة والعزة والكبرياء والضحك والنزول والسمع والبصر ... إلخ. فهل تثبت هذه الصفات لله ﷻ؟ وهل يثبت علوه على عرشه أو لا يثبت؟

فقال أحدهما: إنه لا ينبغي لنا أن نبحث في هذه المسائل، بل يكره البحث فيها، ومن أثبتها فهو مجسم حشوي، بل يكفي الشخص أن يثبت ربوبية الله ووحدانيته، وأنه رب كل شيء ومليكه وخالقه، ولا يقحم نفسه في البحث عن الصفات والعلو، وأن من تكلم في الصفات فهو مجسم ـ أي أنه أثبت الله جسم ـ، فجعله كسائر المخلوقات التي لها أجسام.

وقال الآخر: بل يجب على الإنسان أن يثبت الصفات لله ﷻ، ويثبت علوه على عرشه؛ وذلك أن الله قد أثبتها لنفسه. فأيهما المصيب وأيهما المخطئ؟ وإذا كان الأول مخطئا فما الدليل على أنه يجب على الناس أن يعتقدوا إثبات الصفات، والعلو على العرش الذي هو أعلى المخلوقات، وما معنى التجسيم، وما معنى الحشو؟

وطلبا من الشيخ تبيين ذلك، وأن يبسط لهما القول الشافي في هذه المسألة، كي يزيل عنهم الشبه الواردة عليهم في ذلك.

فأجاب المشار إليه قائلاً:

الحمد لله رب العالمين، يجب على الخلق الإقرار بما جاء به النبي ﷺ. فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلاً عند العلم بالتفصيل؛ فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى، فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة؛ إذ الكاذب ليس برسول فيما يكذبه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقَّة: ٤٤-٤٦].

افتتح المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ جوابه بقوله: (الحمد لله رب العالمين)، وهذا من عادته رَحِمَهُ اللَّهُ؛ فكثيراً ما يفتتح أجوبته بقوله: الحمد لله رب العالمين.

○ قوله: **(يجب على الخلق الإقرار بما جاء به النبي ﷺ)** يعني: فيجب على الخلق الإقرار بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ومما جاء في الكتاب والسنة إثبات الأسماء والصفات لله تعالى، **فمن أمثلته في القرآن:**

١ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ

وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر: ٢٢] **ففي هذه الآية**: إثبات اسم(الله)، وهو أعرف المعارف لا يُسمَّى به غيره، **وأصله**: الإله، **والله**: **هو المألوه** الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وتعظيما، وخشية ورغبة ورهبة.

وفيها: **إثبات** اسم **(الرحمن)**، واسم **(الرحيم)**.

وكل اسم من أسمائه تعالى مشتمل على صفة مشتقة من ذلك الاسم، ف:

(الله): ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

(الرحمن): مشتمل على صفة الرحمة.

(العليم): مشتمل على صفة العلم.

(القدير): مشتمل على صفة القدرة.

(العزيز): مشتمل على صفة العزة.

(الحكيم): مشتمل على صفة الحكمة.

(الرؤوف): مشتمل على صفة الرأفة.

وهكذا كل اسم من أسماء الله مشتمل على صفة، والصفات كلها ترجع لذات الله ﷻ.

٢ ـ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣] **ففي هاتين الآيتين**: **ثمانية أسماء**، منها في الآية الأولى: **ثلاثة أسماء**: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ

﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤] وفي الآية الثانية: **خمسة أسماء.**

٣ ـ ٥ وقال عن نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التحريم: ٢]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢]، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ومن أمثلته فيما أخبر به النبي ﷺ عن ربه:

١ ـ قوله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ...**»[(١)] **فنثبت صفة النزول.**

٢ ـ قوله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ**»[(٢)].

كل هذه أسماء وردت في السنة، فيجب الإيمان والإقرار بما جاء في الكتاب والسنة من الأسماء والصفات.

فالله ﷻ هو الذي سمى نفسه ووصف نفسه، وأخبرنا بذلك ونحن نؤمن بما أخبرنا به.

○ قوله: **(وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلاً عند العلم بالتفصيل)**: جملةً فيما لم يفصل، وتفصيلا فيما فصل، **فمما يُثبت جملة** أن له سبحانه المثل الأعلى فله صفات الكمال، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] أي: **له الوصف الكامل.**

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة، البخاري كتاب التهجد، باب التهجد بالليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم (١٨٠٨).

(٢) أخرجه عن أنس بن مالك أبو داود في كتاب البيوع، باب في التسعير، رقم (٣٤٥١)، والترمذي في أبواب البيوع، باب ما جاء في التسعير، رقم (١٣١٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب التجارات، باب من كره أن يسعر، رقم(٢٢٠٠)، وأحمد رقم (١٤٠٥٨). قال في المقاصد الحسنة (ص: ٧١٨): وإسناده على شرط مسلم، وقد صححه ابن حبان والترمذي.

ومما يُثبت تفصيلا؛ ما أتى مفصلا، مثل ما وصف الله نفسه: أنه عليم، وأنه رحيم، وأنه سميع، وأنه بصير.

○ قوله: **(فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يقر بما جاء به النبي ﷺ، وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)** إذا أنكر الشخص ما جاء به النبي ﷺ فإنه لا يكون مؤمناً، وذلك أن **الإقرار والتسليم بما جاء به النبي ﷺ هو حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله**؛ فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادقٌ فيما يخبره عن الله، وقد أخبرنا أن الله أنزل عليه القرآن وأن السنة وحي ثانٍ، قال عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١).

○ قوله: **(فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق...)** أخبرنا الله جل وعلا أن النبي ﷺ لو تقول عليه شيئاً لم يقله، أي لو كذب على الله، لعاجله الله بالعقوبة، ولكنه معصوم من الكذب ﷺ.

﴿وَلَوْ﴾ **حرف امتناع لامتناع**، وهذا شرط تقديري والشرط التقديري لا يكون، ولكنه يُقدَّر لبيان عظم الأشياء المقدرة.

وهذا كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥] **فالرسول ﷺ معصوم عن الشرك؛ لكن هذا شرط تقديري لبيان عظم شأن الشرك.**

---

(١) أخرجه عن المقدام بن معدي كرب الكندي أبو داود في كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤)، والترمذي في أبواب العلم، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، رقم (٢٦٦٤)، وابن ماجه، في افتتاح الكتاب، باب تعظيم حديث الرسول ﷺ، رقم (١٢) وأحمد رقم (١٧١٧٤) واللفظ له، وابن حبان رقم (١٢). والحاكم في المستدرك ج١/ ١٩١، وسكت عنه الذهبي.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقَّة: ٤٦] ﴿ٱلۡوَتِينَ﴾ هو: عرق متصل بالقلب، إذا قطع مات الإنسان لساعته، **والمعنى**: لو كذب على الله لعوجل بالعقوبة ولا يمهل، ولكنه معصوم عن التقول والكذب ﷺ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام لا يحتاج إلى تقريره، وهو الإقرار بما جاء به النبي ﷺ، وهو ما جاء به القرآن والسنة، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٦٤]، **قال تعالى:** ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البَقَرَة: ١٥١].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٣١]، **وقال تعالى:** ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النِّسَاء: ٦٤]، **وقال تعالى:** ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّسَاء: ٦٥]، **وقال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النِّسَاء: ٥٩].

الشَّرْح

العلم الضروري هو: العلم الذي يضطر الإنسان إلى إثباته، وعدم إنكاره ولا يفتقر في ثبوته إلى بحث وتأمل واستدلال، فبيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ **خلاصة الكلام في هذا الباب:**

أن مما علم من دين الإسلام بالاضطرار ـ علماً ضرورياً لا

يمكن دفعه وإنكاره، ولا يحتاج إلى تقرير وبيان ـ وأنه لا يتم إيمان العبد حتى يتم التصديق والإقرار بما جاء في الكتاب والسنة، **فمن لم يُصدِّق بما فيهما فليس بمؤمن**؛ إذ لم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله، ولم يحقق شهادة أن محمداً رسول الله، فلا يكون الشخص محققاً لهما حتى يصدق ويقر بما جاء في كتاب الله من الأخبار، ومن ذلك ما أخبر الله به عن نفسه من الأسماء والصفات، وما أخبر به من أمور الغيب الماضية والمستقبلة، وبما جاء في سنة رسول الله ﷺ مما أخبر به عنه ربه جل وعلا، وأن تمتثل أوامره وأن تجتنب نواهيه.

ثم أورد المؤلف بعد هذا البيان عدة أدلة تدل على هذا الأصل؛ منها: قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ فأخبر الله سبحانه بأن هذا منَّة منَّ بها على المؤمنين، **والحكمة هي**: السنة.

○ قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ومن طاعته تصديقه في أخباره، فالذي لا يصدِّق أخباره ما أطاعه.

○ قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ فنفى الله ﷻ الإيمانَ عن الشخص حتى يُحكِّم الرسولَ في موارد النزاع، ثم لا يكفي أن يُحكِّمه فقط؛ بل لابد أن لا يكون في صدره حرج من قضاء الرسول ﷺ ومن حكمه، ولابد أن يُسلِّم ويطمئن طمأنينة كاملة به.

○ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ فهذا أمر بطاعة الله

وطاعة رسوله، وأن المسائل المتنازع فيها تُرَدُّ إلى الله وإلى الرسول؛ والرد إلى الله هو بالرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول ﷺ هو بالرد إليه في حياته، وإلى سنته بعد مماته ﷺ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومما جاء به الرسول: رضاه عن السابقين الأولين وعمن اتبعهم بإحسان؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومما جاء به الرسول: إخباره بأنه تعالى قد أكمل الدين بقوله سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومما جاء به الرسول: أمر الله له بالبلاغ المبين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]، **وقال تعالى:** ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، **وقال تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

الشَّرْحُ

إن مما جاء به الرسول ﷺ مما يجب على المسلم أن يؤمن به ويصدق به:

١ ـ **رضاه عن السابقين الأولين ومن اتبعهم بإحسان،** فالرسول ﷺ أخبر بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رضي عن السابقين الأولين من الصحابة، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾، فيجب الترضي عن السابقين

الأولين وهم الصحابة ﷺ، فمن لم يترض عنهم أو سبهم أو شتمهم فإنه لم يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ على الحقيقة، وهو مشاقٌّ لله ولرسوله، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١١٥].

٢ ـ **إخباره بأن الدين كاملٌ** لا يحتاج إلى زيادة ولا يعتريه نقصان، كما قال سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾، فمن أراد أن يزيد على ما جاء في الكتاب والسنة ويأتي بشيء من عند نفسه فقد شاق الله ورسوله، وخالف ما جاء عن الله ورسوله ﷺ، ولم يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ؛ لأن الدين كامل.

٣ ـ **أمر الله له ﷺ بالبلاغ المبين**، وقد بلغ وأدى ما عنده من الوحي والرسالة، فبلغ ﷺ الناس في حجة الوداع، ثم قال: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**» قالوا: اللهم نعم، فرفع إصبعه إلى السماء، فقال: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»[(١)]، فشهد له الصحابة رضوان الله عليهم بالبلاغ، ونحن أيضاً نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه من ربه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النُّور: ٥٤] بلغ الرسالة، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النّحل: ٤٤]، وقد بين عليه الصلاة والسلام. وقال تعالى:

(١) متفق عليه من حديث أبي بكرة ﷺ البخاري في كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، رقم (١٠٥)، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص...، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم (١٦٧٩).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ وقد بلَّغ ﷺ.

○ قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، هذا شرط تقديري، ولكنه قد بلَّغ عليه الصلاة والسلام.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعلوم أنه ﷺ قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئا؛ فإن كتمان ما أنزله الله تعالى يناقض مُوْجَبَ الرسالة؛ كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة.

ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها. والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله تعالى وبين ما أنزل إليه من ربه.

وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين؛ وإنما كمل بما بلغه؛ إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه، فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده، كما قال ﷺ: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»[(١)]، وقال: «ما تركت من شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به، ولا من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به»[(٢)] وقال أبو ذر: لقد توفي رسول الله ﷺ وما من طائر يقلب جناحيه في السماء إلا أفادنا منه علما[(٣)].

---

(١) أخرجه من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ابن ماجه في افتتاح الكتاب، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٣) وأحمد ج٢٨/ ٣٦٧، رقم (١٧١٤٢)، والحاكم في المستدرك، وسكت عنه الذهبي.

(٢) أخرجه من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الإمام أحمد ج٣٥/ ٣٤٧، رقم (٢١٤٣٩) والطبراني في الكبير ج٢/ ١٥٥، قال في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦٣): رواه أحمد، والطبراني، ورجال الطبراني رجال الصحيح، غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقرئ وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يسم.

(٣) سبق تخريجه.

إذا تبين هذا: فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى: من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه، كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فإن هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل. كما قال أبو عبدالرحمن السلمي: «لقد حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا»[1]. وقد قام عبد الله بن عمر ـ وهو من أصاغر الصحابة ـ في تعلم البقرة ثماني سنين، لأجل الفهم والمعرفة.

الشَّرْح

من المعلوم لكل أحد أن الرسول بلغ ما أمره الله بتبليغه ولم يكتم من ذلك شيئا، ولو كان قد كتم شيئاً قد أمره الله بتبليغه، فإن ذلك يناقض موجب الرسالة.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٠)، ولم يسم أحد، وأورده الدار قطني في العلل (٣/ ٦٠)، وذكر فيه عثمان بن عفان، عبدالله بن مسعود، وأبي بن كعب ﷺ، وقال الدار قطني: فسمى هؤلاء الثلاثة ولم يسمعهم سواه والأولى أشبه بالصواب، وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٤٦٠، ٤٦١)، بسند الإمام أحمد، وابن سعد في الطبقات (٦/ ١٧٢) من طريق حماد بن زيد، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤٥١، ١٤٥٢) من طريق سفيان، وهمام بن يحيى كلهم عن عطاء بن السائب به، وذكره الهيثمي في المجمع (١/ ١٦٥)، ونسبه إلى الإمام أحمد وقال فيه عطاء بن السائب: (اختلط في آخر عمره).

○ قوله: (فإن كتمان ما أنزله الله تعالى يناقض مُوْجَبَ الرسالة)، **والموجَب** ـ بفتح الجيم ـ هو: الثمرة والنتيجة، **فالمعنى**: يناقض نتيجة وثمرة الرسالة.

أما المُوْجِب ـ بكسر الجيم ـ فهو: المقتضى والسبب.

فلو كتم ﷺ شيئاً فإن معنى ذلك أنه لم يبلغ الرسالة، بل كان تبليغه ناقصاً بسبب هذا الكتمان، **ومعلوم عند جميع المسلمين** أن الرسول ﷺ معصوم من الكذب والخطأ في تبليغه للشرع، كما هو معلوم عندهم بالاضطرار أيضا أنه معصوم من كتمان شيء منها، فهو معصوم منهما جميعا.

فالكتمان يناقض موجَب الرسالة، والله أرسله ﷺ ليبلغ دينه وشرعه، فإذا كتم شيئاً من ذلك فما تمت الرسالة؛ لأنه لا يمكن أن يكون رسولاً ويكون كذاباً، وذلك أن الكذب ينافي ويناقض ثمرة الرسالة.

إذن فالرسول ﷺ بلغ كما أمر، ولم يكتم شيئا، **ومن قال**: إنه كتم شيئاً مما أوحاه الله إليه فقد كفر، وذلك لأنه خوَّن الرسول ﷺ، وهذا ردة عن الإسلام ـ والعياذ بالله ـ؛ لأن الله قد شهد له بالبلاغ، وشهد له الصحابة بذلك.

○ قوله: (وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين)، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣].

○ قوله: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا) كل هذه النصوص تدل على أن الرسول ﷺ بلغ الرسالة ولم يكتم منها شيئاً؛ وذلك لأنه ﷺ معصوم من الكذب.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ سيبني على هذا الكلام أنه إذا كان معصوماً عن الكذب والكتمان، **فهل يمكن أن يكون ﷺ قد ترك الأسماء والصفات ولم يبينها؟**

■ **الجواب:** أنه لا يمكن أن يترك بيانها للناس، وسيأتي ذلك مفصلاً في كلام المؤلف.

○ قوله: **(إذا تبين هذا: فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى: من أسماء الله وصفاته مما جاء في القرآن وفي السنة الثابتة عنه)** أي: إذا تبين أن الرسول ﷺ معصوم عن الكذب والنقصان في تبليغه للرسالة، فإنه من الواجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى، من أسماءه وصفاته مما جاء في القرآن ومما جاء في السنة الثابتة عنه ﷺ، فمما أخبر الله به عن نفسه قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التحريم: ٢]، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء: ١٧]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [النساء: ١٣٤] وأمثالها من الآيات.

○ قوله: **(كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، رضي الله عنهم ورضوا عنه)** كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، فإنهم صدَّقوا الرسول ﷺ فيما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته، وآمنوا بذلك، ثم إنهم لم يقتصروا في تلقيهم عن النبي ﷺ على ألفاظ القرآن والسنة دون معانيها، بل حفظوا ألفاظ القرآن ومعانيه وتلقوا العلم والعمل جميعا، فالرسول ﷺ ينزل عليه

الوحي من كلام الله وكلام رسوله، ثم يفسره لهم، ثم يعمل به وهم أيضا يعملون بها.

ولهذا فالصحابة لهم مزية تميزهم عن غيرهم، لا كان ولا يكون مثلهم، اصطفاهم الله لصحبة نبيه وحمل الرسالة، ولا يكون أحد مثلهم ولا أحد يسبقهم، أول شيء في الصحبة وفي السبق والجهاد والعلم والعمل وتبليغ الإسلام، فإن هؤلاء هم الذي تلقوا عن النبي ﷺ القرآن و السنة، وكانوا يتلقون عنه ما فيهما من العلم والعمل جميعا، يحفظون الألفاظ، ويتعلمون المعاني، ثم يعملون، كما قال أبو عبدالرحمن السلمي: (**أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا**) فهم قد تعلموا القرآن حروفه وألفاظه، تعلموا ما فيه من العلم، ثم عملوا به.

ابن عمر رضي الله عنهما إنما فعل ذلك لأجل أن يفهم معانيها، وذلك أن سورة البقرة من أطول سور القرآن، وتحتاج إلى وقت في فهمها وتدبرها، **ففيها**: الحديث عن صفات المؤمنين والكفار والمنافقين، وصفات اليهود وأعمالهم الخبيثة مع أنبيائهم، **وفيها**: أحكام الحج والصيام والجهاد، وأحكام الحيض، وأحكام الطلاق والنكاح والمداينة .. أحكامٌ كثيرة تحتاج إلى علم ومعرفة وعمل.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا معلوم من وجوه:

أحدها: أن العادة المطردة التي جبل الله عليها بني آدم توجب اعتناءهم بالقرآن المنزل عليهم لفظا ومعنى؛ بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد، فإنه قد علم أنه من قرأ كتابا في الطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غير ذلك؛ فإنه لابد أن يكون راغبا في فهمه وتصور معانيه. فكيف بمن قرءوا كتاب الله تعالى المنزل إليهم الذي به هداهم الله وبه عرفهم الحق والباطل والخير والشر والهدى والضلال والرشاد والغي.

فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم الرغبات؛ بل إذا سمع المتعلم من العالم حديثا فإنه يرغب في فهمه؛ فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه.

بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول ﷺ في تعريفهم معاني القرآن أعظم من رغبته في تعريفهم حروفه، فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تحصل المقصود؛ إذا اللفظ إنما يراد للمعنى.

الشَّرْحُ

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الوجوه التي تدل على أن العناية بالمعنى أولى وأوكد من العناية باللفظ.

○ قوله: (بل أن يكون اعتناؤهم بالمعنى أوكد)؛ لأن **المقصود هو فهم المعنى وتدبره والعمل به وتلاوته**؛ فالقرآن أُنزل للعمل به، ولا يمكن العمل به إلا بفهم معناه، فكيف يَعمل به من لا يعلم معناه؟!

فالاعتناء بالمعنى أوكد من الاعتناء باللفظ.

○ قوله: (فإنه قد علم أنه من قرأ كتابا في الطب...) أي: أن من أراد أن يتعلم شيئاً من العلوم كالطب أو الحساب أو النحو أو الفقه أو غيرها من العلوم، فإنه إذا أراد أن يقرأ في كتبها لابد له من أن يتصور ما أراده مؤلفوها من المعاني، وذلك أنه لا يتم العمل بهذه العلوم إلا بفهمها وتصور معانيها ونظمها.

فإذا كان هذا في علوم البشر، فكيف بكتاب الله جل وعلا؛ الذي أنزله من أجل هداية الخلق، وتبيين الحق لهم من الباطل، والخير من الشر، والهدى من الضلال، والرشاد من الغي.

○ قوله: (فمن المعلوم أن رغبتهم في فهمه وتصور معانيه أعظم...) أي: أن رغبة الأمة في فهم كلام الله المنزل عليهم وتدبر معانيه من أعظم الرغبات لديهم؛ إذ به هداية الأمة وإخراجها من ظلمات الجهل والكفر والغي والضلال.

بل ومن شدة حرصهم أنه إذا سمع المتعلم منهم من العالم حديثا فإنه يرغب في فهمه وتعقل معناه. فكيف بمن يسمعون كلام الله من المبلغ عنه مباشرة، وهم الصحابة رضوان الله عليهم؛ إذ هم أولى من غيرهم بفهمه واتباع معانيه والعمل به.

○ قوله: (بل ومن المعلوم أن رغبة الرسول ﷺ في تعريفهم معاني القرآن) أي: أن الرسول ﷺ يرغب أن يعرف الصحابة رضوان

الله عليهم معاني القرآن أعظم من رغبته في تعليمهم حروفه وألفاظه.

○ قوله: **(فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا تُحصِّل المقصود)** أي: أن معرفة الحروف دون تدبر معناها وفهمه لا يحصل المقصود منه؛ إذ أن اللفظ يتوصل به إلى فهم المعنى.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الوجه الثاني: أن الله قد حضهم على تدبره وتعقله واتباعه في غير موضع، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [صٓ: ٢٩]، **وقال تعالى:** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، **وقال تعالى:** ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨]، **وقال تعالى:** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّسَاء: ٨٢]. **فإذا كان قد حض الكفار والمنافقين على تدبره: علم أن معانيه مما يمكن الكفار والمنافقين فهمها ومعرفتها فكيف لا يكون ذلك ممكنا للمؤمنين؛ وهذا يبين أن معانيه كانت معروفة بينة لهم.**

الشَّرْحُ

○ قوله: **(أن الله قد حضهم على تدبره وتعقله واتباعه)** وكيف يتدبر الإنسان وهو لا يعرف المعنى؟!

فالتدبر يتطلب معرفة المعنى.

○ قوله تعالى: (﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]) دل على أن الذين لا يتدبرون قلوبهم مقفلة عن المعنى فلم تستفد.

○ قوله تعالى: (﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّسَاء: ٨٢]) وهذا خطاب للكفار، فإذا كان الله قد ذمهم في عدم التدبر وأنكر عليهم ذلك فكيف الحال

بالمؤمنين؟

فإذا كان الكفار والمنافقون يُطلب منهم تدبر المعنى، عُلِم أن المعاني يمكن للكفار أن يفهموها، والمؤمنون من باب أولى.

وهذا فيه: رد على طائفة المفوِّضة؛ الذين يقولون: إن معاني القرآن لا تعرف، وبالخصوص آيات الأسماء والصفات، **ويقولون**: هي حروف يلوكها الإنسان بلسانه ولا يدري معناها.

فإذا قلت: ما معنى العزيز الحكيم؟

قالوا: لا نعرف معناها.

فحال المفوِّض أنه يقرأ ألفاظاً كأنها حروف أعجمية لا يدري ماهو المعنى!

وإذا قلت: الله تعالى يقول: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦]، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]؟

قال المفوِّض: لا أعرف معناها، هي حروف نفوض الأمر في معرفتها إلى الله.

فيقال له: كيف لا تعرفون المعاني، والله تعالى قد حض الكفار والمنافقين على تدبره؟ وهل يحضهم الله على شيء لا يمكنهم تدبره؟!

■ **الجواب**: حاشا وكلا.

فمعاني الأسماء والصفات معروفة؛ لكن كيفيتها هي المجهولة، فنقول في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعرَاف: ٥٤] أي: استقر وعلا وارتفع وصعد، هذه أربع معاني للاستواء في اللغة العربية؛ لكن كيفية استواء الله على عرشه لا نعلمها، كما قال الإمام

مالك (**الاستواء معلوم**)[١] أي: معلوم معناه في اللغة العربية، فله أربع معاني كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهم عبارات عليهم أربع ... قد حصلت الفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وقد ... ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذلك قد صعد الذي هو ... رابع وأبو عبيدة صاحب الشيبان
يختار هذا القول في تفسيره ... أدرى من الجهمية بالقرآن[٢]

فالمعاني معروفة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القَمَر: ١٧] هل يمكن أن تكون المعانى غير معروفة والله تعالى يسَّر القرآن وقال: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾؟!

كل هذا يُبطل مذهب المفوِّضة.

(١) انظر: جواب الإمام مالك هذا في الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٣)، كتاب العرش للإمام الذهبي (١/ ١١٧)، الاعتصام للشاطبي (١/ ١٧٣).
(٢) النونية بشرح ابن عيسى (١/ ٤٤٠).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الوجه الثالث: أنه قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [يُوسُف: ٢] **وقال تعالى:** ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزّخرُف: ٣]، **فبين أنه أنزله عربيا لأن يعقلوا والعقل لا يكون إلا مع العلم بمعانيه.**

الوجه الرابع: أنه ذم من لا يفقهه فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥]، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الأنعام: ٢٥]. **وقال تعالى:** ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النِّسَاء: ٧٨]، **فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضا لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى به.**

الشَّرْح

○ قوله: **(الوجه الثالث: أنه قال تعالى...)** هذا الوجه الثالث من الوجوه التي يتبين بها وجوب العناية بالمعنى دون الاكتفاء بالألفاظ والحروف: **أن الله أنزل القرآن بلغة العرب** من أجل أن نعقل ونفهم معناه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ أي: من أجل أن تعقلوا معناه. وكذا في قوله في أول سورة الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾.

و(**لعل**) من الله ليست للترجي إنما هي للتعليل **فمعنى**:

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: لكي تعقلون؛ لأن الله لا يرجو أحدا ولا يخاف من أحد.

ولو كان لا يمكن فهم معانيه كما تقوله المفوِّضة لما استطعنا أن نعقله.

قال المؤلف **تعليقاً على الآيتين**:

(فَبَيَّنَ) أي: الرب سبحانه (أَنَّهُ أَنْزَلَهُ) أي: القرآن (عربيا لِأَنْ يَعْقِلُوا، وَالْعَقْلُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ بِمَعَانِيهِ) **فالعقل إنما يكون بالعلم بمعاني الألفاظ**، فدل ذلك على أن المعاني يمكن معرفتها، فتكون العناية بها أهم من العناية باللفظ.

○ قوله: (**الوجه الرابع: أنه دم من لا يفقهه ...**) هذا ذم للكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة أن الله جعل لهم حجابا معنوياً، يحجبهم عن سماعهم القرآن سماع تعقل وفهم له، وإلا **فهم يسمعون القرآن بآذانهم، ولكنهم لا ينتفعون به.**

﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أي: غلاف وحجاب معنوي، بحيث أنه لا يصل إليه الحق، فلا يقبلونه، وإلا فقلوبهم مثل قلوب المؤمنين ليس فيها حجاب حسي، **والمعنى**: أن الله صدهم عن قبول الحق.

﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي: مانعا أو حجابا عن سماعهم للحق، وإلا فهم يسمعون القرآن ويسمعون كلام الناس، لكن المراد وقرا معنويا يمنعهم من سماع الحق السماع الذي يفيدهم.

﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ ذمهم الله على عدم فقه الحديث.

○ قوله: **(فلو كان المؤمنون لا يفقهونه أيضا لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين)** الله ذم الكفار والمنافقين في كونهم لا يفقهون القرآن، ولو كان المؤمنون لا يفقهونه ولا يعرفون معانيه لكانوا مشاركين لهم، لكنهم ليسوا كذلك؛ **فالمؤمنون مَنَّ الله عليهم بالإيمان فدل على أنهم يفهمون ويفقهون المعنى.**

ودل هذا على: أن المعاني مفهومة، خلافاً للمفوِّضة الذين يقولون إن المعاني لا تعرف، وإنما نفوضها إلى الله.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الوجه الخامس: أنه ذم من لم يكن حظه من السماع إلا سماع الصوت دون فهم المعنى واتباعه فقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البَقَرَة: ١٧١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفُرقان: ٤٤] **وقال:** ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمَّد: ١٦] **وأمثال ذلك. وهؤلاء المنافقون سمعوا صوت الرسول ﷺ ولم يفهموا وقالوا: ماذا قال آنفا؟ ـ أي الساعة ـ وهذا كلام من لم يفقه قوله، فقال تعالى:** ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

فمن جعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان غير عالمين بمعاني القرآن، جعلهم بمنزلة الكفار، والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى عليه.

الشَّرْحُ

○ قوله: (**الوجه الخامس: أنه** ـ أي: الرب سبحانه وتعالى ـ **ذم من لم يكن حظه من السماع إلا سماع الصوت ...**) فشبَّه الله عَزَّوَجَلَّ الكفار في عدم فهم المعنى واتباعه حين يسمعون القرآن، بالغنم التي ينعق لها الراعي، فتسمع الصوت وتأتي؛ ولكن لا تفهم ما يقوله

راعيها، ولهذا قال: ﴿صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾:

﴿صُمٌّۢ﴾ عن سماع الحق فلا يسمعون الحق؛ لكنهم يسمعون أصوات الناس، يسمعون الخطاب في أمور دنياهم جيدا، سماعهم قوي وفهمهم قوي.

لكن في أمور الدين فيما ينفعهم لا يسمعون، **فهم صم بمعنى**: أنهم لا يسمعون سماع القبول، فلا يسمعون الحق ولا يقبلونه، ولكن يسمعون غير الحق ويفهمونه.

﴿بُكۡمٌ﴾ فهم لا يتكلمون بالحق، وإن كانوا يتكلمون بالباطل ويتكلمون بأمور دنياهم.

﴿عُمۡيٞ﴾ فهم لا يرون الحق ولا يبصرونه، وإن كانوا يرون ويبصرون أمور دنياهم.

- ولهذا قال: ﴿فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ هذا الوصف ينطبق على الكفار، والمؤمنون ليسوا كذلك.

○ قوله تعالى: (﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ﴾) أي: سماع إجابة وقبول، ﴿أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ﴾ ما ينفعهم في أمور دينهم؛ ليسوا كذلك. لكن يسمعون ما يخص أمور دنياهم ويسمعون ما يضرهم؛ أما الحق فلا يسمعونه سماع إجابة وقبول، وكذلك لا يعقلون الحق ولا يعرفونه، وإن كانوا يعقلون أمور دنياهم؛ ولهذا قال: ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ﴾ شبههم الله بالأنعام السارحة التي تهتدي إلى الطعام والشراب في مراعيها ولكن ليس عندها عقل.

فكذلك هؤلاء الكفار هم كالأنعام يسعون ويعيشون لأمور دنياهم، فيأكلون ويشربون ويبيعون ويشترون؛ لأمور دنياهم، ولكنهم لا يعملون لآخرتهم. قال الله عنهم: ﴿بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾ بل

هؤلاء الكفار أضل سبيلاً من الأنعام؛ لأن الأنعام ليس عليها حساب ولا عقاب؛ لأنها لم تكلف، وقد هداها الله لمراعيها، وهي تسبح الله، ومع ذلك لم تخالف أمر الله، أما هؤلاء فقد كلفوا وأعطاهم الله عقولا فلم ينتفعوا بعقولهم؛ وهم مكلفون؛ لأن الله ركب فيهم العقول، فصاروا والعياذ بالله أضل من الأنعام سبيلاً.

○ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾ [محمد: ١٦]) **هذه الآية في وصف المنافقين**، فقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني: إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ وهم: الصحابة ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ **يعني: ماذا قال محمد؟** فهؤلاء لم يفهموا مع أنهم سمعوا ما قاله، بدليل أنهم إذا خرجوا من عنده قالوا: ماذا قال أنفا؟ يعني: الساعة. قال الله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ طبع الله على قلوبهم طبعا معنويا، فلا يصل إليه الحق، ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

وهذا كلام من لم يفقه، فحينما يجلسون مع الصحابة ويسمعون كلام الرسول ﷺ يفهمه الصحابة، وهؤلاء المنافقون يقولون ماذا قال محمد؟

فمن قال: إن الصحابة لا يفهمون المعاني؛ **فجعلهم** مثل الكفار، وللمؤلف رحمه الله رد على المفوِّضة في كتابه: (**درء تعارض العقل والنقل**)[1].

(١) انظر: درء التعارض (١/ ٢٠٤، ٢٠٥).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الوجه السادس: أن الصحابة رضي الله عنهم فسروا للتابعين القرآن، كما قال مجاهد «عرضت المصحف على ابن عباس رضي الله عنهما من أوله إلى آخره أقف عند كل آية منه»[(١)]. ولهذا قال سفيان الثوري: «إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به»[(٢)]، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»[(٣)].

وكل واحد من أصحاب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم نقل عنه من التفسير ما لا يحصيه إلا الله. والنقول بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها.

الشَّرْحُ

○ قوله: (أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فسروا للتابعين القرآن) **يعني**: كيف

(١) أخرجه الطبري في التفسير (١٠٨) لكن بلفظ: «**عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عَرْضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسألُه عنها**» حسن لغيره، وفي حلية الأولياء (٣/ ٢٨٠)، وابن سعد في الطبقات (٥/ ٤٦٦)، وفيه: ابن إسحاق وهو مدلس، وله شاهد من طريق بين أبي مليكة قال: (رأيت مجاهد يسأل ابن عباس...) أخرجه الطبري (١٠٧).

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (١/ ٩١) بسند حسن.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي، رقم (٥٠٠٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه، رقم (٢٤٦٣).

يفسرونه وهم لا يعرفون معناه؟!

فتفسيرهم له دليل على أنهم قد عرفوا معناه.

○ قوله: **(كما قال مجاهد)**[١] وهو من أئمة التابعين رَحِمَهُ اللَّهُ، وجاء عنه أيضاً أنه قال: «**عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عَرْضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسألُه عنها**»[٢] فبما أن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يفسر المعنى له، فالصحابة إذن يعرفون معاني القرآن.

○ قوله: «**فحسبك به**» أي: أنه يكفيك، فاهتمَّ واعتنِ به، وذلك أنه أخذه عن ابن عباس الصحابي الجليل الذي دعا له الرسول ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»[٣].

○ قوله: «**وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ**»[٤] **يعني**: أنه من عنايته ـ أي: ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بتفسير القرآن وفهم معانيه يقول: إني لا أعلم أحداً أعلم مني بمعانيه، ولو أعلم أحداً أعلم مني بمعانيه تبلغ إليه الإبل لركبتها إليه؛ حتى إن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **(والله لو أعلم اليوم أحدا**

---

(١) مجاهد بن جبر، ويقال: ابن جبير أبو الحجاج المكي الفقيه المقرئ مولى عبد الله بن السائب القارئ، ويقال: مولى قيس بن الحارث المخزومي. روى عن ابن عباس وابن عمر وجابر وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمرو بن العاص ورافع بن خديج وأم كرز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، توفي سنة مائة، وقال أبو نعيم الفضل بن دكين توفي سنة اثنين ومائة. تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٧/ ٢١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، رقم (١٤٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل ابن عباس، رقم (٢٤٧٧)، وأحمد رقم (٣٠٣٢، ٣١٠٢) وهذا اللفظ لأحمد، وهو عند الشيخين مختصرا.

(٤) سبق تخريجه.

أعلم مني به - أي: القرآن - وإن كان من وراء البحار لأتيته)[(١)].

○ قوله: **(وكل واحد من أصحاب ابن مسعود)** كعلقمة وإبراهيم بن يزيد عن ابن مسعود ﷺ وغيرهم من أصحابه. **(وابن عباس نقل عنه من التفسير ما لا يحصيه إلا الله)** ومجاهد وغيره عن ابن عباس ﷺ **وهذا يدل على أنهم يفهمون المعاني** ويهتمون بها.

○ قوله: **(والنقول بذلك عن الصحابة والتابعين ثابتة معروفة عند أهل العلم بها)** **هذه ستة أوجه بين بها المؤلف** ﷺ عناية الصحابة بالمعاني، وذكر أيضا وجوهاً أخرى في كتابه: **(بيان تلبيس الجهمية)** أوصلها إلى أربعين وجهاً، ثم قال: وعند التأمل هي أكثر من ذلك، والوجه الواحد يتضمن وجهاً أو وجوهاً، والآيات المتماثلة جعلت وجها وكل منها دليل مستقل، فتكون الدلائل المذكورة أكثر من مائة دليل وما لم يذكر كثير أيضاً[(٢)]. وهو كتاب عظيم من عيون كتب شيخ الإسلام.

وهذه الوجوه كلها في الرد على طائفة المفوِّضة.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، رقم (١٢٢٧٢، ١٢٢٧٣)، وهو خبر حسن.
(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٨/ ٢١٨-٢٣٥).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائل: قد اختلفوا في تفسير القرآن اختلافا كثيرا؛ ولو كان ذلك معلوما عندهم عن الرسول ﷺ لم يختلفوا فيه. فيقال: الاختلاف الثابت عن الصحابة؛ بل وعن أئمة التابعين في القرآن أكثره لا يخرج عن وجوه:

أحدها: أن يعبر كل منهم عن معنى الاسم بعبارة غير عبارة صاحبه، فالمسمى واحد وكل اسم يدل على معنى لا يدل عليه الاسم الآخر مع أن كلاهما حق.

بمنزلة تسمية الله تعالى بأسمائه الحسنى وتسمية الرسول بأسمائه وتسمية القرآن العزيز بأسمائه فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسرَاء: ١١٠].

فإذا قيل: الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام؛ فهي كلها أسماء لمسمى واحد سبحانه وتعالى وإن كان كل اسم يدل على نعت لله تعالى لا يدل عليه الاسم الآخر.

الشَّرْح

○ قوله: (فإن قال قائل: قد اختلفوا في تفسير القرآن اختلافا كثيرا) ذكر المؤلف هنا اعتراضاً ثم أجاب عنه: وهو أنه إذا كان الصحابة قد تلقوا معاني القرآن عن النبي ﷺ فكيف اختلفوا فيه، فلو كان المعنى معروفا لما اختلفوا؟

وقد بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن الاختلاف الثابت عن الصحابة وعن أئمة التابعين في تفسير القرآن لا يخرج عن وجوه ثلاثة.

○ قوله: **(أحدها: أن يعبر كل منهم عن معنى الاسم بعبارة غير عبارة صاحبه)** هذا الوجه الأول أي: أن **التفسير الواقع من الصحابة إنما هو تفسير للمسمى الواحد بأحد معانيه**، وذلك أن المسمى الواحد قد تكون له عدة مسميات؛ فإذا قلت مثلا: زيد كريم، شجاع، عابد؛ هذه صفات متعددة لمسمى واحد وهو: زيد، فتارة تصفه بالكرم، وتارة بالشجاعة، وتارة بالعبادة. وهذه كلها معاني لمسمى واحد، وإن كانت هذه المعاني مختلفة إلا أنها لشيء واحد.

فكذلك الصحابة يعبِّر كلٌّ واحد منهم للاسم بمعنى غير معنى صاحبه، إلا أن مرجعها كلها لمسمى واحد، وكل عبارة تدل على معنى مستقل لا يدل عليه الاسم الآخر مع أن كلاهما حق.

○ قوله: **(بمنزلة تسمية الله تعالى بأسمائه الحسنى)** فالله تعالى له أسماء كثيرة، حتى قيل: إن لله تعالى ألف اسم.

وكل اسم من أسمائه تعالى مشتمل على صفة ـ كما تقدم ـ كلها لمسمى واحد وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

○ قوله: **(وتسمية الرسول بأسمائه) وكذلك الرسول ﷺ له عدة أسماء**: أحمد، ومحمد، والحاشر، والمقفِّي، والعاقب؛ هذه معاني متعددة ولكنها لشخص واحد هو الرسول ﷺ.

أحمد ومحمد ـ معناهما واحد هو ـ: كثير المحامد.

والعاقب: الذي ليس بعده نبي.

والحاشر: الذي يحشر الناس على قدمه.

○ قوله: (وتسمية القرآن العزيز بأسمائه) **القرآن كذلك له عدة أسماء بمعاني مختلفة؛** كالقرآن والكتاب والشفاء والهدى والبيان؛ كلها معاني لمسمى واحد.

كذلك السيف له عدة أسماء؛ حتى إنه قيل: إن له ثلاثمائة اسم، مثل: المهند والصارم.

والأسد كذلك؛ فذُكر أن له خمسمائة اسم، مثل: الضرغام وحطام وحيدر.

فإذا دعوت الله فقلت: يا الله يا رحمن، يا حي، يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا مجيب، يا قريب، يا ودود، يا غفور يا رحيم، فهذه الأسماء كلها ترجع إلى الله وإن كانت معانيها مختلفة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومثال هذا من التفسير: كلام العلماء في تفسير: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَة: ٦]، فهذا يقول: هو الإسلام، وهذا يقول هو القرآن أي اتباع القرآن، وهذا يقول: السنة والجماعة، وهذا يقول: طريق العبودية، وهذا يقول: طاعة الله ورسوله. ومعلوم أن الصراط يوصف بهذه الصفات كلها ويُسمَّى بهذه الأسماء كلها ولكن كل منهم دل المخاطب على النعت الذي به يعرف الصراط وينتفع بمعرفة ذلك النعت[1]، ولهذا قال الله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسرَاء: ١١٠].

فاختلاف الصحابة رضي الله عنهم من جنس هذا الاختلاف لا يخرج عنه.

الشَّرْح

○ قوله: (ومثال هذا من التفسير: كلام العلماء في تفسير (الصراط المستقيم)) بعض العلماء يقول: **الصراط المستقيم** هو: الإسلام، وبعضهم يقول: هو القرآن ـ يعني: اتباع القرآن ـ، وبعضهم يقول: هو الرسول ـ يعني: اتباع الرسول ـ، وبعضهم يقول: هو طاعة الله ورسوله، وبعضهم يقول: هو طريق العبودية. **هل في**

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٧٠).

هذه المعاني تنافي؟

■ **الجواب:** لا تنافي بينها، فمن اتبع الرسول فقد ابتع الصراط المستقيم، ومن دخل في الإسلام وعمل به فهو على الصراط المستقيم، ومن كان على طريق العبودية فهو على الصراط المستقيم، ومن أطاع الله ورسوله فهو على الصراط المستقيم؛ فلا تنافي بين هذه التفاسير، بل كلها حق.

والاختلاف الحاصل من الصحابة في تفسير القرآن هو من هذا الباب.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الوجه الثاني: أن يذكر كل منهم من تفسير الاسم بعض أنواعه أو أعيانه على سبيل التمثيل للمخاطب؛ لا على سبيل الحصر والإحاطة. كما لو سأل أعجمي عن معنى لفظ (الخبز)، فأُري رغيفا وقيل: هذا هو. فذاك مثال للخبز وإشارة إلى جنسه؛ لا إلى ذلك الرغيف خاصة.

ومن هذا ما جاء عنهم في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فَاطِر: ٣٢]. فالقول الجامع أن الظالم لنفسه هو المفرط بترك مأمور أو فعل محظور، والمقتصد: القائم بأداء الواجبات وترك المحرمات، والسابق: بمنزلة المقرب الذي يتقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض حتى يحبه الحق.

ثم إن كلا منهم يذكر نوعا من هذا، فإذا قال القائل: الظالم المؤخر للصلاة عن وقتها، والمقتصد المصلي لها في وقتها، والسابق المصلي لها في أول وقتها حيث يكون التقديم أفضل.

وقال آخر: الظالم لنفسه هو البخيل الذي لا يصل رحمه ولا يؤدي زكاة ماله، والمقتصد القائم بما يجب عليه من الزكاة وصلة الرحم وقرى الضيف والإعطاء في النائبة.

والسابق الفاعل المستحب بعد الواجب. كما فعل الصديق حين جاء بماله كله؛ ولم يكن مع هذا يأخذ من أحد شيئا.

وقال آخر: الظالم لنفسه الذي يصوم عن الطعام لا عن الآثام

والمهلكات، والمقتصد الذي يصوم عن الطعام والآثام، والسابق الذي يصوم عن كل ما لا يقربه إلى الله ـ وأمثال ذلك ـ لم تكن هذه الأقوال متنافية بل كل ذكر نوعاً مما تناولته الآية.

الشَّرْح

هذا الوجه الثاني من الوجوه التي لا تخرج عنها تفاسير الصحابة والتابعين، وهو أن يُعبِّروا عن معنى الاسم ببعض أنواعه، **وليس المقصود**: الحصر، **بل المقصود**: بيان المعنى.

مثَّل له المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (كما لو سأل أعجمي عن معنى لفظ (الخبز)) فأنت تأتي برغيف وتقول: هذا الخبز، وليس معنى ذلك أنك تريد الحصر والإحاطة، فأنت تريد أن تذكر له مثالا، فهو قد عرف الخبز، فإذا رأى نوعاً آخر عرف أنه خبز؛ وقد كان قبل أن تريه مثالا لا يعرف الخبز.

ومن أمثلة ذلك: ما جاء في تفسير قول الله تعالى في سورة فاطر: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فَاطِر: ٣٢]. **ففي هذه الآية: بين الله أقسام المؤمنين، وأنهم ثلاثة أقسام:**

القسم الأول: الظالم لنفسه، وهو: الموحد الذي لم يقع في عمله شرك، لكنه قصر في أداء بعض الواجبات أو فعل بعض المحرمات، وسمي ظالماً لنفسه؛ لأنه ظلم نفسه بفعل المعاصي، كمن ظلمها بأكله الربا، أو بالكذب أو بأخذ شيء من الرشوة، أو بعقوق والديه، أو تساهل ببعض الواجبات.

القسم الثاني: المقتصد، وهو: الذي أدى الواجبات وترك المحرمات، ووقف عند هذا الحد، لكن لم يكن عنده نشاط في فعل

المستحبات؛ ويُسمَّون أصحاب اليمين.

القسم الثالث: السابق بالخيرات، وهو: الذي أدى الواجبات وصار عنده نشاط ففعل المستحبات والنوافل وترك المحرمات، وترك المكروهات، وترك التوسع في المباحات أيضا حتى لا يقع في المكروهات، هؤلاء في الدرجة العليا، ويُسمَّون: **(السابقون)** و**(المقربون)**.

ثم يليهم (المقتصدون) ويُسمَّون: **(أصحاب اليمين)**.

وكل من الصنفين يدخل الجنة من أول وهلة؛ فيسلم من العذاب فضلاً من الله وإحسانا.

أما الظالمون لأنفسهم، فهؤلاء تحت مشيئة الله؛إما أن يعفو عنهم، وإما أن يعذبهم:

فقد يعذَّب في قبره؛ كما ثبت في قصة الرجلين اللَّذَين مر بهما النبي ﷺ فقال: «**أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**»(١).

وقد تصيبه شدائد وأهوال يوم القيامة.

وقد يعفو الله عنه تحت مشيئته سبحانه؛ كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

وقد يكون مستحقا لدخول النار، لكن يُشفع فيه، فلا يدخل النار.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس، البخاري في كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول، رقم (٢١٨)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول والاستبراء منه، رقم (٢٩٢).

وقد يدخل النار، بل لابد أن يدخل النارَ جملةٌ من أهل الكبائر، مؤمنون موحدون مصلون ولا تأكل النار وجوههم، ولا مواضع السجود منهم، وهم إنما دخلوها؛ لأنهم ماتوا على معاصي: هذا مات على الزنا من غير توبة، وهذا مات على من الربا غير توبة، هذا مات على الرشوة من غير توبة، هذا مات على عقوق الوالدين من غير توبة، هذا مات على الغيبة من غير توبة، هذا مات على النميمة...، ويشفع فيهم النبي ﷺ أربع شفاعات، وتشفع فيهم الملائكة والأفراط، وتبقى بقِيَّةٌ لم تنلهم الشفاعة، فيخرجهم الله برحمته.

ولا يخلدون في النار، بل لا بد أن يخرجوا، كما جاء ذلك في حديث الشفاعة أن الله قال لنبيه ﷺ: «**فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَىأَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[(١)].

والمعاصي ولو كثرت فإنها لا تقضي على الإيمان؛ بل لا بد أن تبقى بقية، ولا يقضى على الإيمان بالكلية إلا الكفرُ الأكبر أو النفاقُ الأكبر أو الشركُ الأكبر، فحينئذ ينتهي الإيمان ويضمحل بالكلية، وذلك أنه لا يمكن أن يجتمع الإيمان مع الكفر، لكن **المعاصي ولو عظمت لا بد أن يبقى معها شيء من الإيمان يخرج به صاحبه من النار،** ولو كان هذا الإيمان مثقال أدنى حبة من خردل.

ـ **فإذا عرفنا أن الظالم لنفسه،** هو: الذي قصَّر في بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات، وأن **المقتصد،** هو: الذي أدى الواجبات وترك المحرمات، **وأن السابق والمقرب،** هو: الذي أدى

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم (٧٥١٠)،ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٣).

الواجبات والنوافل وترك المحرمات والمكروهات وفضول المباحات، **إذا تقرر هذا**: فإن ما جاء عن الصحابة في تفسيرهم لهذه المعاني، إنما يراد به ضرب المثال لا الحصر، فهذا يذكر مثالا، والآخر يذكر مثالا.

فلا ينافي أحدهما الآخر، بل كل الأمثلة داخلة في المعنى، فمن فسر الظالم لنفسه بأنه: المقصر في بعض الواجبات، ومن فسره بأنه: البخيل، ومن فسره بأنه: الذي يصوم عن الطعام ولا يصوم عن الآثام، ليس بين هذه النفسيرات تناف؛ فالمعنى واحد.

فإذا قال بعضهم: الظالم لنفسه المؤخر للصلاة عن وقتها، **فهل معنى ذلك أن الظالم لنفسه لا يكون إلا مؤخراً للصلاة فقط؟**

■ **الجواب**: لا، إنما المراد بهذا المثال لا الحصر.

○ قوله: **(والإعطاء في النائبة) النائبة** جمعها: نوائب، وهي: التي تنوب الانسان ويحتاج فيها إلى غيره.

لما حث النبي ﷺ على الصدقة، تسارع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إلى الصدقة؛ فجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله وأعطاه النبي ﷺ فقال له: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» فقال: مثله. قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قال عمر رضي الله عنه: لا أسابقك إلى شيء أبدا[1].

فالصديق رضي الله عنه فعل المستحب بعد أداءه للواجب.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الزكاة، باب الرخصة في ذلك، رقم (١٦٧٨) واللفظ له، والترمذي في أبواب المناقب، باب...، رقم (٣٦٧٥) وقال: (حسن صحيح)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٧٤)، وصححه على شرط مسلم، كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

● **مسألة: هل يجوز للإنسان أن يتصدق بماله كله؟**

■ **الجواب:** لا يجوز أن يتصدق الإنسان بماله كله إذا كان له أهل وأولاد؛ لئلا يجعلهم يتكففون الناس، ولهذا قال النبي ﷺ لكعب بن مالك رضي الله عنه لما قال إن من توبتي أن أنخلع من مالي قال: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»[1].

إلا في حالة واحدة: إذا كان له مكسب يومي بحيث أنه يستطيع يكسب كل يوم ما يكفي لأولاده، وأولاده يوصلون.

○ قوله: **(وأمثال ذلك)** هذا الاختلاف لا يؤثر؛ لأن المراد منها التمثيل لا الحصر.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، رقم (٤٤١٨)، ومسلم كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك، رقم (٢٧٦٩).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الوجه الثالث: أن يذكر أحدهم لنزول الآية سببا ويذكر الآخر سبباً آخر، لا ينافي الأول، ومن الممكن نزولها لأجل السببين جميعا أو نزولها مرتين مرة لهذا ومرة لهذا.

وأما ما صح عن السلف أنهم اختلفوا فيه اختلاف تناقض، فهذا قليل بالنسبة إلى ما لم يختلفوا فيه.

الشَّرْحُ

يبيِّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن اختلاف السلف إنما هو اختلاف تنوع، وذلك أن **الاختلاف نوعان**:

الأول: اختلاف تضاد وتناقض، وهذا مذموم.

الثاني: اختلاف تنوع، وهو أن يكون كلٌّ من المختَلِفَين على حق، ومثاله:

١ ـ **الاختلاف الوارد في استفتاحات الصلاة**، فقد ورد عن النبي ﷺ عدة استفتاحات.

• **فمنها**: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»[(١)]، وهذا هو الذي كان يعلمه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للناس

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب من رأى الاستفتاح بسبحانك اللهم، رقم (٧٧٥)، والترمذي في أبواب الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة، رقم (٢٤٢)، وقال حديث أبي سعيد الخدري أشهر حديث في الباب، والنسائي كتاب الافتتاح، باب نوع ثاني من الذكر، رقم (٨٩٩)، وابن ماجة كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب افتتاح الصلاة، رقم (٨٠٤)، وأحمد في المسند (١٨/ ٥١).

على منبر النبي ﷺ، واختاره الإمام المجدد الشيخ محمد رحمه الله وهو أفضل الاستفتاحات في ذاته؛ لأنه كله ثناء على الله.

• ومنها: «**اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ أَنْقِنِي مِنْ خَطَايَايَ كَالثَّوْبِ الْأَبْيَضِ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي بِالثَّلْجِ وَالْمَاءِ وَالْبَرَدِ**»[(١)].

• **ومنها**: الاستفتاح الوارد في صلاة الليل، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يستفتح صلاته إذا قام من الليل: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**»[(٢)].

• **ومنها**: استفتاح طويل في صلاة الليل في حديث ابن عباس «**اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ**

(١) متفق عليه أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.البخاري كتاب الأذان، باب ما يقول بعد التكبير، رقم (٧٤٤)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ما يقول بين تكبيرة الإحرام والقراءة، رقم (٥٩٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٧٠).

وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»[(١)].

وكلُّ هذه الاستفتاحات حق.

٢ ـ الاختلاف الوارد في صيغ الأذان.

• فقد ورد عن النبي ﷺ أنه علم بلالاً رضي الله عنه الأذان خمسة عشر جملة: التكبيرات أربع الله أكبر الله أكبر، والشهادتان أربع والحيعلتين أربع والتكبيرتين والتهليل، هذا أذان بلال رضي الله عنه[(٢)].

• وأذان أبي محذورة رضي الله عنه علمه إياه النبي ﷺ يؤذن به[(٣)] في مكة، وهو تسعة عشر جملة، وهو نفس أذان بلال رضي الله عنه غير أنه يزيد في الشهادتين، فتكون الشهادتان ثمان، أربع سراً وأربع جهرا، ويُسمَّى: بالترجيع ـ أي: أن المؤذن يقول بينه وبين نفسه سراً: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين، ثم يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله مرتين، ثم يعيدهما مرة أخرى لكن يرفع بهما صوته، فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله ـ وسمي هذا ترجيعاً؛ لأنه يرجع إليها مرة أخرى.

---

(١) متفق عليه عن ابن عباس أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب التهجد بالليل، رقم (١١٢٠)، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٦٩).

(٢) أخرجه عن عبدالله بن زيد عن أبيه أبو داود في كتاب الصلاة، باب كيفية الأذان، رقم (٤٩٩)، والترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء في بدء الأذان، رقم (١٨٩)، وابن ماجه كتاب الأذان والسنة فيه، باب بدء الأذان، رقم (٧٠٦)، وأحمد في المسند (٢٤/ ٣٩٩، ٤٠٠) وابن حبان في صحيحه (١٦٧٩)، وغيرهم، وفي الباب عن أبي محذورة رضي الله عنه سيأتي بعده.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب صفة الأذان، رقم (٣٧٩).

فهذا النوع من الأذان صحيح، وذاك أيضا صحيح؛ فالأذان خمسة عشر جملة عند بلال رضي الله عنه، عند أبي محذورة رضي الله عنه وتسعة عشر، وكلها حق، **فهل الاختلاف في صيغ الأذان من اختلاف التضاد؟**

■ **الجواب:** لا، لكن الأفضل منهما هو أذان بلال؛ لأنه هو الذي يُؤَذَّن به بين يدي النبي ﷺ.

٣ ـ **الاختلاف الوارد في صيغ التشهد،** فإن له أنواعا، وهي معلومة ومُدَوَّنة في كتب السنة.

فهذا يُسمَّى: **اختلاف التنوع، وهو ليس مذموما.**

أما اختلاف التضاد والتناقض فهذا هو المذموم، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾ [البَقَرَة: ٢٥٣]، وكقوله سبحانه: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ﴾ [آل عِمرَان: ١٩] **فهذا الاختلاف المذموم.**

ـ فالاختلاف الوارد عن الصحابة والتابعين في التفسير هو من النوع الأول وهو اختلاف التنوع فكله حق، ليس اختلاف تضاد.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

كما أن تنازعهم في بعض مسائل السنة، كبعض مسائل الصلاة والزكاة والصيام والحج والفرائض والطلاق ونحو ذلك لا يمنع أن يكون أصل هذه السنن مأخوذا عن النبي ﷺ وجملها منقولة عنه بالتواتر.

وقد تبين أن الله أنزل عليه الكتاب والحكمة؛ وأمر أزواج نبيه ﷺ أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة. وقد قال غير واحد من السلف: إن الحكمة هي السنة؛ وقد قال ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ»(١).

فما ثبت عنه من السنة فعلينا اتباعه؛ سواء قيل إنه في القرآن؛ ولم نفهمه نحن، أو قيل: ليس في القرآن؛ كما أن ما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان؛ فعلينا أن نتبعهم فيه. سواء قيل: إنه كان منصوصا في السنة ولم يبلغنا ذلك، أو قيل إنه مما استنبطوه واستخرجوه باجتهادهم من الكتاب والسنة.

الشَّرْح

○ قوله: (لا يمنع أن يكون أصل هذه السنن مأخوذا عن النبي ﷺ وجملها منقولة عنه بالتواتر) أي: أن أصل هذه العبادات صحيح متفق عليه، وكله مأخوذ عن النبي ﷺ وجمله منقولة بالتواتر، لكن

(١) سبق تخريجه.

الاختلاف الواقع فيها إنما هو في بعض التفصيلات لا في أصلها.

○ قوله: **(وقد قال غير واحد من السلف: إن الحكمة هي السنة)** وقد ذكر الآثار عنهم في ذلك الطبري في تفسيره[(١)].

○ قوله: **(«أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ» و(الكتاب) هو:** القرآن، **(ومثله معه) هو:** السنة، فدل على **أن السنة وحي ثان،** قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النّجم: ٣-٤].

○ قوله: **(فما ثبت عنه)** أي: عن النبي ﷺ **(من السنة فعلينا اتباعه) يجب علينا اتباع ما ثبت عن النبي ﷺ، ونؤمن به، ونعتقد أن معناه حق؛** سواء علمنا المعنى أو لم نعلمه، سواء في لفظ القرآن أو في السنة، فكل ما ثبت عن النبي ﷺ يجب الإيمان به وتصديقه.

كذلك؛ فإن ما أجمع عليه الصحابة الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: يجب علينا اتباعه؛ فإنه يكون مستندا إلى نص.

سواء كان هذا الذي أجمعوا عليه له نص من السنة لكن لم يبلغنا هذا النص، أو أنهم استنبطوه وأخرجوه باجتهادهم؛ **علينا في كلا الحالين أن نتبعهم؛** لأنهم معصومون عن الخطأ، فقد جاءت نصوص كثيرة تدل على أن الأمة لا يمكن أن تجتمع على ضلالة، قال ﷺ: «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَمَن

(١) تفسير ابن جرير (٥/ ٥٧٦-٥٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢٣٢٠)، وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه. وابن أبي عاصم في السنة (٨٠)، والطبراني في الكبير (١٣٦٢٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ١١٥- ١١٦)، والبيهقي في الأسماء (ص٣٢٢)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه. وفي الباب عن أنس بن مالك رضي الله عنه أخرجه ابن عاصم في السنة (٨٤).

يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١١٥] **ففي الآية:** دليل على وجوب إتباع المؤمنين فيما أجمعوا عليه، وأن من خالف المؤمنين فهو متوعد بهذا الوعيد؛ أن يُوَلِّيه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا.

كل هذا مقدمة ليبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن القرآن معروف المعنى للصحابة والتابعين، ومن ذلك: آيات الصفات.

بعد ذلك كله يتكلم الشيخ عن مسألة العلو والصفات في الفصل الذي يلي هذا.

﴿ فصل ﴾

فإذا تبين ذلك: فوجوب إثبات العلو لله تعالى ونحوه يتبين من وجوه:

أحدها: أن يقال: إن القرآن والسنن المستفيضة المتواترة وغير المتواترة، وكلام السابقين والتابعين وسائر القرون الثلاثة، مملوء بما فيه إثبات العلو لله تعالى على عرشه بأنواع من الدلالات، ووجوه من الصفات، وأصناف من العبارات.

الشَّرْح

لما بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة هذا الكتاب أن من لوازم الإيمان بالشهادتين: الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وبما أخبر به نبيه ﷺ في سنته، وأن مما أخبر الله به في كتابه ومما أخبر به رسوله ﷺ: أسماؤه وصفاته جل وعلا، فمن لم يؤمن ويقر بما أخبر الله به عن نفسه في كتابه وبما أخبر عنه رسوله؛ لم يحقق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

شرع بعد ذلك في هذا الفصل بالجواب عن سؤال السائل الذي كتب هذه الرسالة من أجله، **وهو**: هل الواجب على المسلم أن يُثبت أسماءَ الله وصفاتِه وعلوَّه على عرشه؟ أم يكتفي بالإيمان بربوبية الله، وأنه الخالق الرازق المدبر؟

○ قوله: **(فوجوب إثبات العلو لله تعالى ونحوه يتبين من وجوه)**

أي: **إذا تبين لك مما تقدم ذكره** وجوب الإيمان بالأخبار الواردة في الكتاب والسنة، وأن ذلك من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ **فإنه يجب على المسلم إثبات علو الله على**

خلقه؛ وذلك لأن الله أخبر بأنه عالٍ على خلقه؛ فمن لم يؤمن بعلو الله على خلقه لم يصدق الله في أخباره.

❁ **وقد دل على علو الله تعالى أنواع من الدلالات:**

- **فتارة يخبر بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**، وقد ذكر الاستواء على العرش في سبعة مواضع.

- **وتارة يخبر بعروج الأشياء وصعودها** وارتفاعها إليه كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨]، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عِمرَان: ٥٥]، ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعَارج: ٤]، وقوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فَاطِر: ١٠].

- **وتارة يخبر بنزولها منه** أو من عنده كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأنعَام: ١١٤]، ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النّحل: ١٠٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فُصّلَت: ١-٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجَاثِيَة: ١-٢].

- **وتارة يخبر بأنه العلي الأعلى**، كقوله تعالى: ﴿۞سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

- **وتارة يخبر بأنه في السماء**، كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾ [المُلك: ١٦-١٧] فذكر السماء دون الأرض ولم يعلق بذلك ألوهية أو غيرها، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزّخرُف: ٨٤]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٣]. وكذلك قال النبي ﷺ: «**أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(١). وقال للجارية: «**أين الله؟**» قالت في السماء، قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»(٢).

- **وتارة يخبر بأن بعض الخلق عنده دون بعض**، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: ١٩].

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.البخاري في كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب...، رقم (٤٣٥١)، ومسلم كتاب الكسوف، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤).

(٢) أخرجه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه في كتاب المساجد وموضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويخبر عمن عنده بالطاعة كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

الشَّرْح

شرع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بذكر أنواع الأدلة الدالة على علو الله على عرشه، وهي كثيرة جدا، أفرادها ـ أي: آحادها ـ تزيد على ألف دليل كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ، **وهذه الأفراد لها قواعد تجمعها.**

فمن أنواع الأدلة على علو الله:

النوع الأول: أن كل نصٍ ذُكر فيه أن الله استوى على العرش، فإنه دال على العلو، وهذا في سبعة مواضع من كتاب الله:

الموضع الأول: في سورة الأعراف، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الموضع الثاني: في سورة يونس، وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣].

الموضع الثالث: في سورة الرعد، وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرّعد: ٢].

الموضع الرابع: في سورة طه، وهو قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥].

الوضع الخامس: في سورة الفرقان، وهو قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ [الفُرقان: ٥٩].

الموضع السادس: في سورة السجدة، وهو قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السَّجدَة: ٤].

الموضع السابع: في سورة الحديد، وهو قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحَديد: ٤].

كل هذه المواضع أخبر الله فيها بأنه استوى على العرش، وأتى فيها بلفظة: ﴿عَلَى﴾ التي تدل على العلو.

فهذه سبعة أدلة تحت قاعدة واحدة.

النوع الثاني: أن كل نص فيه ذكر العلو فإنه يدل على العلو، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، ﴿۞ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١].

النوع الثالث: أن كل نص فيه أن الله في السماء يدل على أن الله على العرش، كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: ١٦]، **والمراد بالسماء هنا: العلو**، و﴿فِى﴾ للظرفية، ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ يعني: في العلو. وكل شيء فوق رأسك فهو في العلو، والله تعالى له أعلى العلو، وهو ما فوق العرش.

وإذا أريد بالسماء: الطباق المبنية، فتكون ﴿فِى﴾ بمعنى: على، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: مَن على السماء. والأصل أن ﴿فِى﴾ للظرفية على بابها ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: في العلو.

وإذا أريد بها الأجرام، فتكون ﴿فِى﴾ بمعنى: على.

وكقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزّخرُف: ٨٤]، **يعني: وهو الذي في السماء معبود** وفي الأرض معبود؛ لأنه معبود في السماء، ومعبود في الأرض وهو فوق العرش.

وهذه الآية من الأدلة التي يستدل الجهمية الذين أنكروا علو الله على عرشه، كما ذكر الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه **(الرد على الزنادقة)** وأنهم وجدوا ثلاثة آيات تشبثوا بها ومنها هذه الآية، فيقولون: إن الله في السماء وفي الأرض وفي كل مكان.

وليس معنى الآية أن ذاته في الأرض؛ بل المراد ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ **يعني**: معبود في السماء ومعبود في الأرض، وهو فوق العرش.

وكذلك مما استدلوا به قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعَام: ٣] هذه الآية فيها كلام للمفسرين، فمن العلماء من يقرأ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ثم يقف ثم يستأنف بـ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾، وليس المراد أن ذاته في الأرض، بل يقال إنه في السماء وهذا متعلق بالعلم، وفيها أقوال أخرى[(١)].

ومن الأدلة من السنة على هذا النوع، قول النبي ﷺ: «**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء**»[(٢)] المراد بالسماء هنا: العلو، والله تعالى له أعلى العلو وهو: العرش.

النوع الرابع: أن كل نص فيه الصعود إليه؛ فإنه يدل على علو الله على عرشه، كقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠]؛ لأن الصعود لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٢٧-١٢٨).

(٢) سبق تخريجه.

النوع الخامس: أن كل نصٍ فيه الرفع؛ فإنه يدل على العلو، كقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨]، وقوله: ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠]؛ لأن الرفع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى.

النوع السادس: أن كل نصٍ فيه النزول فإنه يدل على العلو، كقوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجَاثِيَة: ٢]، وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فُصّلَت: ٢]، وقوله: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأنعَام: ١١٤]، والنزول لا يكون إلا من أعلى إلى أسفل.

النوع السابع: أن كل نصٍ فيه السؤال عن الله بـ(أين) فإنه يدل على العلو، كقول النبي ﷺ للجارية: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[1] فسألها عن الله بأين؟ فقالت في السماء، فشهد لها بالإيمان.

النوع الثامن: أن يجعل بعض الخلق عنده دون بعض، كقوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأنبيَاء: ١٩] المراد بالعندية في قوله: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ أي: من عنده في العلو، ولو كان المراد بالعندية هنا أنه في الأرض كما يقول الجهمية؛ لأنه لو كان كذلك لما كان هناك فائدة في التخصيص، لكن قال ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ثم قال ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ وهم الملائكة الذين في العلو ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ فإذا جعل الخلق عنده دون بعض دل على أن المراد العلو؛ لأنه لو لم يرد العلو، لصارت الملائكة و السماوات والأرض كلها عنده، لكن لما خصص بعض المخلوقات بأنها عنده دل على أنه في العلو.

---

(١) سبق تخريجه.

النوع التاسع: أن يخبر بمن عنده بالطاعة؛ ـ كما ذكر المؤلف هنا ـ وذلك في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦] فقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة، والملائكة في السماء الذي هو العلو.

قال المؤلف رحمه الله:

فلو كان مُوجَبُ العِنْدية معنى عاما كدخولهم تحت قدرته ومشيئته وأمثال ذلك؛ لكان كل مخلوق عنده، ولم يكن أحد مستكبرا عن عبادته؛ بل مسبحا له ساجدا، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠]. وهو سبحانه وصف الملائكة بذلك ردا على الكفار المستكبرين عن عبادته، وأمثال هذا في القرآن لا يحصى إلا بكلفة.

وأما الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين فلا يحصيها إلا الله تعالى، فلا يخلو إما أن يكون ما اشتركت فيه هذه النصوص من إثبات علو الله نفسه على خلقه هو الحق أو الحق نقيضه؛ والحق لا يخرج عن النقيضين. وإما أن يكون نفسه فوق الخلق؛ أو لا يكون فوق الخلق ـ كما تقول الجهمية.

ثم تارة يقولون: لا فوقهم ولا فيهم ولا داخل العالم ولا خارجه ولا مباين ولا محايث، وتارة يقولون: هو بذاته في كل مكان. وفي كل المقالتين يدفعون أن يكون هو نفسه فوق خلقه.

فإما أن يكون الحق إثبات ذلك أو نفيه.

الشَّرْح

الموجب ـ بفتح الجيم ـ: الثمرة والنتيجة، وبكسر الجيم: السبب والمقتضي، والمراد هنا: نتيجة العندية، **والمعنى**:

لو كان موجَب العندية المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الأنبياء: ١٩]، معنى عاما؛ مثل كون كل من في السماوات والأرض داخلا تحت قدرته ومشيئته، لكان كل مخلوق عنده، وكل الناس لا يستكبرون عن عبادته؛ إلا أن النصوص دلت على خلاف ذلك، وكذلك دل عليه الحس والواقع، من حيث أن الكفرة استكبروا عن عبادته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾، وكما هنا؛ فقد خص ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ بأنهم لا يستكبرون عن عبادته، فدل على أن الكفرة استكبروا عن عبادته، والمراد بقوله: ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ هم الملائكة الذين هم في السماء.

○ قوله تعالى: (﴿سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [غافر: ٦٠]) أي: أذلة صاغرين، فهذا جزاء الذين يستكبرون عن عبادته، أما الملائكة فلا يستكبرون عن عبادته ﷻ.

والمقصود: أن جعل العندية من المعاني العامة؛ بحيث أن جميع الخلق عنده، كما أنهم جميعا داخلون تحت قدرته ومشيئته، هذا لا يصح لما تقدم.

○ قوله: **(وأمثال هذا في القرآن لا يحصى إلا بكلفة)** يعني: لا يستطيع الإنسان أن يحصي الأدلة على علو الله إلا بكلفة.

وقد ذكر المؤلف هنا ستة أنواع من الأدلة التي تدل على علو الله على خلقه، وذكر ابن القيم في الكافية الشافية[(١)] ما يقرب من واحد وعشرين نوعا وطريقة من الطرق النقلية الدالة على أن الله سبحانه فوق السماوات على عرشه، ومع كل هذه الأدلة فقد أنكر

(١) انظر: النونية (ص٤٧)، وما بعدها.

الجهمية والمعتزلة علو الله على عرشه، وقالوا: إن الله مختلط بمخلوقاته ـ نعوذ بالله من ذلك ـ، حتى إن بعضهم قال: إنه في بطون السباع وأجواف الطيور وفي كل مكان ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ.

ومن متقدمي الأشاعرة من كان يثبت العلو، بل إن **الثابت عن أبي الحسن الأشعري وابن كُلَّاب**: إثبات العلو، لكن صار متأخروهم يوافقون الجهمية في نفي العلو، فعامة الأشاعرة على نفي علو الله تعالى، وتفسيره بعلو القدر، والقهر.

فكل هؤلاء الذين أنكروا العلو ضربوا بالنصوص المُثْبِتَة للعلو عرض الحائط.

وهؤلاء النفاة عارضوا نصوص العلو بنصوص المعية، وقالوا عن أدلة العلو: إنها باطلة تبطلها نصوص المعية، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]. قالوا: هذا يدل على أن الله مختلط بالمخلوقات!

وقولهم باطل؛ لأن المعية لمطلق المصاحبة ـ كما سيأتي ـ، **لا تدل على**: الاختلاط والامتزاج والمحاذاة؛ فالعرب تقول: (ما زلنا نسير والقمر معنا) والقمر في السماء، فالمعنى: أن القمر مصاحب لنا، ولا يدل على المخالطة والامتزاج.

وهؤلاء المعطلة فهموا فهما سقيما، ففهموا من نصوص المعية أن الله مختلط بالمخلوقات، وضربوا بالنصوص التي هي أكثر من ألف دليل عرض الحائط وأبطلوها، وقالوا: إن الله مختلط بالمخلوقات وهو في كل مكان ـ نعوذ بالله ـ.

والطائفة الثانية من الجهمية المتأخرين: فأنكروا العلو، ووصفوا الله بسلب النقيضين، وهذا أشد من الأول، قالوا: الله لا فوق ولا تحت، ولا داخل العالم، ولا خارجه، ولا مباين له، ولا محايث له، ولا متصل به، ولا منفصل عنه!!

فأين يكون إذن؟!

لاشك أن وصف الله بسلب النقيضين أشد من سلب الصفات عنه؛ لأن سلب نقيضين عن الموجود: مستحيل، وهذه قاعدة عند العقلاء جميعا، وهي أنه: **لا يجوز عقلا سلب النقيضين عن الشيء**؛ بل لابد من إثبات أحدهما دون الآخر، فإما أن تنفي الاثنين أو تثبت الاثنين؛ فهذا مستحيل ولا يمكن عقلا.

والنقيضان هما: الوصفان اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان، مثل: الوجود والعدم، فهما نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، **فلا تجمع بين النقيضين،** فتقول: زيد موجود ومعدوم ـ في وقت واحد ـ؛ فهذا غير ممكن، فإذا قلت: موجود، انتفى وصف العدم عنه، وإذا قلت: معدوم، انتفى وصف الوجود عنه.

وكذلك لا تسلب النقيضين، فتقول: زيد لا موجود ولا معدوم؛ فهذا غير ممكن أيضا، لأنك إذا قلت: لا موجود، ثبت العدم، وإذا قلت: لا معدوم، ثبت الوجود. مثل الوجود والعدم في هذا: الحياة والموت، والعلم والجهل.

فهؤلاء الغلاة الملاحدة يقولون عن معبودهم ـ قبحهم الله ـ: لا موجود ولا معدوم، ولا حي ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، **وهذا مستحيل**؛ لأنه لا يمكن سلب النقيضين عن الشيء، إما أن يكون حيا أو يكون ميتا، إما أن يكون موجودا أو يكون معدوما.

فالخلاصة: أنهم طائفتان:

الطائفة الأولى: قالت إنه مختلط بالمخلوقات.

الطائفة الثانية: سلبوا النقيضين.

والطائفة الثانية أشد، لأنهم وصفوه بالمستحيلات، وقد ذكرنا أن نفاة العلو تأولوا النصوص التي فيها أن الله في العلو، فقالوا: المراد علو المكانة والمنزلة والقدر والجاه، فمعنى أن الله في السماء، يعني: مكانته عالية، وإلا فهو في كل مكان بذاته.

ويفسرون العلو بتفسير آخر وهو: علو القهر والسلطان والغلبة، كما في فرعون لما قال: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: ١٢٧].

وأهل السنة والحق يقولون: إن الله موصوف بالعلو بأنواعه الثلاث، **فالعلو ثلاثة أنواع:**

الأول: علو الذات، يعني: ذاته عليّة فوق العرش.

الثاني: علو المكانة والعظمة والمنزلة.

الثالث: علو القهر والسلطان.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]:

والفوق أنواع ثلاث كلها لله ثابتة بلا نكران

وهذه الأنواع كلها ثابتة لله، وأهل البدع أثبتوا نوعين وأنكروا نوعا، فأثبتوا علو المكانة، وعلو القهر والسلطان، وأنكروا علو الذات.

فالنزاع بينهم وبين أهل السنة في: علو الذات.

---

(١) القصيدة النونية (ص٥١).

فالنصوص التي تثبت العلو فسرها أهل البدع بعلو المكانة وعلو القهر والسلطان، أما علو الذات فقالوا: الرب ليست ذاته علية، بل هو مختلط بالمخلوقات أو مسلوب عنه النقيضين ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ.

وأجابوا عن حديث الجارية حينما قال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[1] فشهد لها النبي ﷺ بالإيمان، **فقالوا**: الرسول ﷺ سأل سؤالاً فاسدا يناسب عقلها وفهمها، والرسول أراد أن يقول: من الله؟ ولم يرد أن يقول أين الله؟ ؛ لأن الله لا يُسأل عنه بأين؛ فإن (أين) للمكان، فإنك إذا قلت: أين الله؟ فقد جعلت الله في مكان محدود متحيز، وهذا بزعمهم تنقُّص وكفر.

فالذي يثبت العلو لله، يُسمَّونه: كافرا، ويقولون: لأنه تنقَّص الله وجعله محصوراً في مكان، وهو عندهم ذاهب في جميع الجهات، لا يحصر في مكان، لأن الذي يحصر في مكان هو الجسم المحدود الحقير المتحيز المخلوق، أما الخالق فليس في مكان ومن قال: أنه في مكان فقد تنقصه، ومن تنقصه فقد كفر، ولهذا فهم يُكَفِّرون من يثبت العلو.

وكذلك يقولون: لا يشار إلى الله بالأصابع، فلو أشرت وعندك جهمي لقطع إصبعك في الحال، فاحذر أن ترفع أصبعك إلى السماء وعندك جهمي؛ لأنك عنده حينئذ كافر مجسم متنقص للرب.

---

(١) سبق تخريجه.

فقول هؤلاء النفاة، يتضمن: اتهام الرسول ﷺ ؛ لأنهم قالوا: أنه سأل الجارية سؤالاً فاسدا يناسب عقلها وفهمها، وأقرها على جواب فاسد يناسب عقلها، هكذا اتهموا الرسول ﷺ ـ نسأل السلامة والعافية ـ.

هذه مناقشة لأهل البدع الذين أنكروا علو الله على خلقه، فبعد أن ناقشهم المؤلف رحمه الله بالأدلة على إثبات العلو ـ التي تزيد أفرادها على ألف دليل، فالآيات والأحاديث والآثار في ذلك لا تحصى لكثرتها ـ ناقشهم بعد ذلك مناقشة عقلية لا ينفكون عنها.

والمراد بالمنكرين للعلو هم: **الجهمية** أتباع الجهم ابن صفوان **والمعتزلة** أتباع واصل بن عطاء وعمرو ابن عبيد **والأشاعرة**؛ فكلهم ينكرون العلو.

والأشاعرة يثبتون سبع صفات ليس منها العلو، وهي: الحياة والكلام والبصر والسمع والقدرة العلم والإرادة، وليس منها العلو؛ لكن القدامى منهم كأبي الحسن الأشعري وابن كُلَّاب كانا يثبتان العلو، أما المتأخرون فصاروا مع الجهمية، **وهم طائفتان** ـ كما تقدم ـ **فطائفة تقول**: إنه في كل مكان، **وطائفة** سلبت عنه النقيضين.

والمؤلف رحمه الله أراد أن يناقشهم مناقشة عقلية، حتى الكافر تشمله هذه المناقشة؛ لأن كل عاقل يناق،ش في هذا.

يقال لمنكري العلو: هذه النصوص التي فيها إثبات علو الله على خلقه هل هي حق أو الحق نقيضها؟

فهل النصوص ـ التي تقدَّم طرفٌ منها ـ تدل على علوِّ الله على خلقه، أو على نقيض ذلك، بأن الله ليس عاليا على خلقه، بل هو

في داخل المخلوقات؟

ولا شك أن الحق لا يخرج عن الاثنين:

الأول: الحق، وأن الله فوق العرش عالٍ على خلقه. **دليله:** النصوص من الكتاب والسنة والآثار التي لا تحصى ولا تعد.

الثاني: نقيضه: أن الله داخل المخلوقات.

فعندنا نقيضان: الحق مع واحد منهما، فإما أن يكون الله ﷻ فوق الخلق، كما يقول أهل السنة والجماعة والرسل وأتباعهم، أو لا يكون فوق الخلق، كما تقوله الجهمية.

○ قوله: **(ولا محايث) المحايث هو:** الداخل، وهو: ضد المباين، وهذا قول الجهمية المتأخرون.

○ قوله: **(يقولون: هو بذاته في كل مكان)** وهذا قول الجهمية الأولى.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن كان نفي ذلك هو الحق، فمعلوم أن القرآن لم يبين هذا قط - لا نصا ولا ظاهرا - ولا الرسول ولا أحد من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ لا أئمة المذاهب الأربعة ولا غيرهم ولا يمكن لأحد أن ينقل عن واحد من هؤلاء أنه نفى ذلك أو أخبر به. وأما ما نقل من الإثبات عن هؤلاء: فأكثر من أن يحصر.

فإن كان الحق هو النفي دون الإثبات، والكتاب والسنة والإجماع إنما دل على الإثبات، ولم يذكر النفي أصلا؛ لزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق في هذا الباب؛ بل نطقوا بما يدل - إما نصا وإما ظاهرا - على الضلال والخطأ المناقض للهدى والصواب.

ومعلوم أن من اعتقد هذا في الرسول والمؤمنين، فله أوفر حظ من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١١٥].

الشَّرْحُ

○ قوله: (فإما أن يكون الحق إثبات ذلك أو نفيه) إما أن يكون الحق إثبات أن الله فوق العرش، أو نفي الله فوق العرش.

○ قوله: (ولا يمكن لأحد أن ينقل عن واحد من هؤلاء أنه نفى ذلك أو أخبر به) **فمن قال**: إن نفي كونه فوق العرش هو الحق،

نقول له: كيف يكون الحق أن الله مختلط بالمخلوقات، ولم يدل على ذلك القرآن لا نصا ولا ظاهرا، ولا قاله الرسول ﷺ، ولا قاله أحد من الصحابة، ولا قاله أحد من التابعين، ولا أحد من أئمة المسلمين أو أئمة المذاهب، ولا يمكن لأحد أن ينقل عن واحد من هؤلاء أنه ينفي أو يخبر بأن الله داخل المخلوقات وليس فوق العرش!

فلا يمكن أن يكون هذا هو الحق.

○ قوله: **(وأما ما نقل من الإثبات عن هؤلاء: فأكثر من أن يحصر)** أما نقل الإثبات وأن الله فوق العرش هذا لا يحصى كثرة.

كل هذا مناقشة للذين ينكرون العلو، **وقد ابتلي الشيخ بهم.**

ولا يظن أحد أن الجهمية غير موجودين الآن؛ بل هم موجودون وبكثرة وفي كل مكان، فإذا خرجت من هذه البلاد فستجد الجهمية والمعتزلة وجميع الطوائف؛ بل ستجد الاتحادية الذين يقولون: إن الخالق والمخلوق واحد ـ والعياذ بالله ـ، وتجد في نواحي الشام ومصر وباكستان وليبيا غلاة الصوفية الطرقية.

فكل هذه المذاهب موجودة في هذا العصر بكثرة وبقوة، بل أشد من هذا ـ كما تقدم ـ تجد الصوفية الذين يقولون: بوحدة الوجود، فيقولون: إن الوجود واحد، ويقولون: الرب هو الخالق، كما قال ابن عربي[1]:

الرب حق والعبد حق ... يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف

(١) الفتوحات المكية (١/ ٢).

ويقول: رب مالك، وعبد هالك، وأنتم ذلك.

والصوفية لها طرق، وكل طريقة لها شيخ، حتى ذُكر أن طرقَهم تصل إلى مائة طريقة، كلها موصلة إلى النار، وهذه الطرق أصحاب عقائدة فاسدة وشركيات وبدع.

والحاصل: أن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بين أن نقل إثبات علو الله ﷻ عن هؤلاء الأئمة أكثر من أن يحصى.

○ قوله: **(فإن كان الحق هو النفي دون الإثبات)** أي: إن كان الحقُّ هو نفيُ أن يكون الله على العرش، دون الإثبات، فيلزم من ذلك: أن يكون الكتاب والسنة والإجماع إنما دلت على الإثبات فقط، ولم يذكر النفي الذي هو في نظركم الحق.

وسيذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الأمور اللازمة على ذلك.

○ قوله: **(لزم أن يكون الرسول والمؤمنون لم ينطقوا بالحق في هذا الباب...)** **يعني**: **إذا قال الجهمية**: إن الحق هو نفي الصفات ونفي العلو عن الله دون الإثبات، **فنقول لهم**: قد دلَّ الكتاب والسنة والإجماع على الإثبات وليس فيه نفي أصلاً، فعلى قولهم: يلزم أن يكون الرسول ﷺ على الضلال والخطأ، ويلزم: أن يكون المؤمنون لم ينطقوا بالحق في باب الأسماء والصفات.

فيلزم من ذلك: أن يكون الرسول والصحابة كلهم على باطل وعلى ضلال وعلى الخطأ المنافي للصواب.

ومن اعتقد هذا فله أوفر حظ من هذا الوعيد الشديد في قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥] فيكون مشاقاً لله ورسوله، ومتبعاً غير سبيل المؤمنين، وهو متوعد بأن

يولِّيه الله ما تولى ويصليه جهنم.

وبهذا يتبين أن مذهب الجهمية والمعتزلة: اتباع لغير سبيل المؤمنين، وأنهم متوعدون بهذه الآية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن القائل إذا قال: هذه النصوص أريد بها خلاف ما يفهم منها أو خلاف ما دلت عليه أو أنه لم يرد إثبات علو الله نفسه على خلقه؛ وإنما أريد بها علو المكانة ونحو ذلك.

كما قد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع، فيقال له: فكان يجب أن يبين للناس الحق الذي يجب التصديق به باطنا وظاهرا.

الشَّرْح

بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ موقف أهل البدع من هذه النصوص، وأنهم يقولون: إن هذه النصوص يراد بها خلاف ما يفهم منها، ويراد بها خلاف ما دلت عليه، ولا يراد بها إثبات علو الله على خلقه، وإنما يراد بها علو المكانة.

فالتمسوا لنصوص الصفات أنواع التأويلات الباطلة، وقالوا: لو وصفنا الله بهذه الصفات وسميناه بهذه الأسماء لشبهناه المخلوق، والله ليس كمثله شيء.

فإذا قلنا لهم: هذه النصوص أخبر الله بها عن نفسه، وأخبر بها رسوله عنه، فكيف لا تثبتونها؟

قالوا: هذه النصوص أُريدَ بها خلاف ما يُفهم منها، فإنه يراد بها معنى آخر: معنى مجازي، فالمراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] أي: استولى. والمراد بقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾

[المائدة:١١٩] أي: أثابهم. والمراد بقوله: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة:١٤] أي: عاقبهم. والمراد بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البَقَرَة:٢٥٥] أي: علو مكانة وقدر، وليس المراد: أنه فوق العرش مستو عليه.

فهذا هو موقف أهل البدع من نصوص الصفات.

○ قوله: **(وإنما أريد بها علو المكانة ونحو ذلك)** هذا قول الجهمية، والمعتزلة، وكذلك الأشاعرة فيما عدا الصفات السبع، التي يثبتونها وهي: الحياة والكلام والبصر والسمع والعلم والقدرة والإرادة، وما عداها فيتأولونها كالمعتزلة والجهمية.

○ قوله: **(كما قد بسطنا الكلام)** قد بسط المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الكلام عن هذا في رسائل كما في مجموع الفتاوى، وفي التدمرية، وفي الحموية، وفي بيان تلبيس الجهمية، وفي غيرها من الكتب.

○ قوله: **(فيقال له: فكان يجب ...)** أجاب المؤلف عن هذا التأويل الباطل **فقال لهذا المتأول، ما بيانه:**

أنه لو كان المراد بهذه النصوص خلاف ما يُفهم منها وما دلت عليه من إثبات علو الله، وكان المراد بها ـ على زعمكم ـ علوَّ المكانة، لكان ذلك خلاف الظاهر الحقيقي، ولصار المراد بها: المعنى المجازي، والله تعالى قد وصف نبيه بأنه قد بيَّن للناس نصوص الكتاب، ووصف الكتاب العزيز بأنه مبين، فكيف يريد بهذه النصوص المعنى المجازي دون أن يأتي بقرينة تدل على المراد؟

فلو كان المراد بها علو المكانة لقال الرسول ﷺ وهو أفصح الناس: ليس المراد بها علو الله على خلقه؛ بل المراد بها علو المكانة؛ حتى لا يضل الناس، **فيلزم من قولهم هذا**: أن نصوص

الكتاب والسنة أضلت الناس ـ كما سيبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

وقد قالوا ـ أيضا ـ: إن ظاهر الكتاب والسنة يفيد الكفر والباطل، ونحن نريد أن ننزه كلام الله عن الباطل، فلا نأخذ بظاهرها بل نتأولها حتى لا نقع في الكفر!

فجميع أهل البدع يقولون: الذي يثبت الصفات لله، ويقول: إن الله مستوٍ على العرش وأنه يتكلم حقيقة، وله علم حقيقة وله سمع وبصر حقيقة: هذا كافر؛ قالوا: لأنه تنقَّص الرب ووصفه بصفات المخلوقين وشبه الله بخلقه.

قالوا: ظاهر القرآن كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورىٰ: ١١]، فيه: إثبات السمع واثبات البصر، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [التّحريم: ٢]، فيه: إثبات العلم والحكمة، وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩]، فيه: إثبات الرضا، وقوله: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجَادلة: ١٤] فيه: إثبات الغضب، فكذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، فيه: إثبات العلو، **قالوا**: ولو أثبتنا هذه النصوص لكان المخلوق أيضا يوصف بأنه يرضى وبأنه سميع وبأنه بصير وبأنه في العلو، فنكون شبهنا الله بخلقه، ومن شبه الله بخلقه كفر؛ لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورىٰ: ١١] **فما المخرج؟**

قالوا: نتأول هذه النصوص، وأن المراد بها المعنى المجازي لا الحقيقة.

والذي دلنا على ذلك هو: العقل، فالعقل هو الذي صرَف النصوص عن ظاهرها إلى المعنى المجازي؛ لأننا لو أبقيناها على حقيقتها لكانت متضمنة للكفر.

هكذا وصفوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بأن ظاهرهما الكفر ـ والعياذ بالله ـ.

فالمؤلف رحمه الله **يقول: لو كان المراد بها المعنى المجازي كما تقولون لكان الواجب على الرسول** ﷺ **أن يبين للناس أن المراد من النصوص**: المعنى المجازي؛ لأن الله وصفه بأنه يبيِّن معاني القرآن، فقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فإذا سكت ولم يبين يكون قد كتم الحق وخان الأمة، وهذا الكلام كفر وردة ـ والعياذ بالله ـ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

بل ويبين لهم ما يدلهم على أن هذا الكلام لم يُرَد به مَفْهُومُه ومقتضاه، فإن غاية ما يُقَدَّرُ أنه تكلم بالمجاز المخالف للحقيقة والباطن المخالف للظاهر.

ومعلوم باتفاق العقلاء أن المخاطِبَ المبَيِّنَ إذا تكلم بمجاز فلا بد أن يقرن بخطابه ما يدل على إرادة المعنى المجازي؛ فإذا كان الرسول المبلغ المبين الذي بين للناس ما نزل إليهم يعلم أن المراد بالكلام خلاف مفهومه ومقتضاه، كان عليه أن يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يُرِد، لا سيما إذا كان باطلا لا يجوز اعتقاده في الله، فإن عليه أن ينهاهم عن أن يعتقدوا في الله ما لا يجوز اعتقاده إذا كان ذلك مخوفا عليهم.

الشَّرْحُ

○ قوله: (بل ويبين لهم ما يدلهم على أن هذا الكلام...) يعني: أن الرسول ﷺ حينما أخبر بهذا الكلام ولم يُرِد مفهومه ومقتضاه وإنما أراد المعنى المجازي، كان يجب عليه في هذه الحالة أن يبين لهم حتى يعتقدوا الحق ولا يعتقدوا الباطل.

○ قوله: (فإن غاية ما يُقَدَّرُ أنه تكلم بالمجاز المخالف للحقيقة...) فإذا قلتم: إن المراد بالعلو علو المكانة، صار المراد: المعنى الباطن، والظاهر هو: العلو الحسي ـ أي: علو الذات ـ، فلابد أن يبين الرسول ﷺ، ويقول: ما أردتُّ المعنى الظاهر، وإنما

أردت المعنى الباطن المجازي.

○ قوله: **(ومعلوم باتفاق العقلاء أن المخاطِبَ المبَيِّنَ إذا تكلم بمجاز فلا بد أن يقرن بخطابه ما يدل على إرادة المعنى المجازي)**

يعني: أن الذي يخاطب الناس حينما يتكلم، إن كان يريد بخطابه المعنى الحقيقي فإنه يسكت؛ لأن هذا هو الذي يُفهم منه، وإن كان يريد به معنى مجازيا؛ فلا بد أن يبينه حتى لا يضل الناس، **وهل قال ﷺ أنه ليس المراد بهذه النصوص ظاهرها؟**

■ **الجواب:** أنه لم يقل ذلك ﷺ.

فإذا كان ﷺ يعلم أنه ما أراد المعنى الظاهر الحقيقي، وإنما أراد المعنى المجازي، فعليه حينئذ أن يقرن بخطابه ما يصرف القلوب عن فهم المعنى الذي لم يُرِد، فيقول: ما أردت علو الذات، وإنما أردت علو المكانة والقهر والسلطان. وهو ﷺ لم يقرن في كلامه ما يدل على أنه أراد خلاف ظاهر اللفظ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولو لم يخاطبهم بما يدل على ذلك فكيف إذا كان خطابه هو الذي يدلهم على ذلك الاعتقاد الذي يقول النفاة هو اعتقاد باطل.

فإذا لم يكن في الكتاب ولا السنة ولا كلام أحد من السلف والأئمة ما يوافق قول النفاة أصلا، بل هم دائما لا يتكلمون إلا بالإثبات؛ امتنع حينئذ ألا يكون مرادهم الاثبات، وأن يكون النفي هو الذي يعتقدونه ويعتمدونه، وهم لم يتكلموا به قط ولم يظهروه، وإنما اظهروا ما يخالفه وينافيه.

الشَّرْحُ

يبيِّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنه **إذا كان خطابه** ﷺ يدل على اعتقاد ثبوت هذه الصفات، **والنفاة يقولون**: هذا اعتقاد باطل، **فنقول**: لماذا لم يبين للناس أن المراد بها المعنى المجازي لئلا يعتقدون المعنى الظاهر؟

ثم إنه ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام أحد من السلف: أن المراد بهذه النصوص نفي الصفات.

○ قوله: **(بل هم دائما لا يتكلمون إلا بالإثبات)** أي: أن السلف ليس في كلامهم أن المراد بالنصوص نفي الصفات، بل طريقتهم أنهم لا يتكلمون إلا بالإثبات، على العكس من طريقة النفاة الذين يتكلمون بالسلب.

○ قوله: (امتنع حينئذ ألا يكون مرادهم الاثبات، وأن يكون النفي هو الذي يعتقدونه ويعتمدونه) **يعني: إذا لم يكن في الكتاب ولم يكن في السنة ولا في كلام السلف والأئمة، ما يوافق قول النفاة** ـ الذين يقولون بنفي الصفات ـ **وإنما فيه**: أنهم تكلموا بالإثبات، أي: إثبات الأسماء والصفات، **فحينئذ نقول**: يمتنع ويستحيل أن يكون مرادهم النفي وإنما يتعين أن يكون مرادهم الإثبات؛ لأن الكتاب دال على الإثبات، والسنة دالة على الإثبات، وكلام السلف دال على الإثبات، فكيف نقول: إنه دل على النفي؟! فهم لم يتكلموا بالنفي، ويستحيل أن يكون النفي هو الذي يعتقدونه ويعتمدونه وهم لم يتكلموا به قط ولم يظهروه، وإنما أظهروا ما يخالفه وينافيه؛ من إثباتهم للأسماء والصفات، وردهم على أهل البدع، ولو كان مرادهم النفي لتكلموا به ولأظهروه، إذ لا مانع يمنعهم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا كلام مبين لا مخلص لأحد منه، لا مخلص لأحد عنه، لكن للجهمية المتكلمة هنا كلام وللجهمية المتفلسفة كلام.

الشَّرح

يعني: هذا الذي تقدم كلام واضح، لا يستطيع النفاة أن يتخلصوا منه، أو أن يجيبوا عنه؛ **فهؤلاء النفاة يقولون**: الله وكَلَنا إلى العقول، فعرفنا بعقولنا أن هذا لا يليق بالله.

فنقول لهم: لو كان هذا لا يليق بالله، فلماذا أنزل الله الكتاب والسنة وفيهما هذا الذي تنكرونه وتتأولونه؟! فلا شك أن الله أنزلهما للعمل والتدبر والفهم والتطبيق.

ونقول لهم: هاتوا لنا حرفا واحدا يدل على قول النفاة من الكتاب العزيز، أو من السنة أو من قول السلف.

فإذا طالبناهم بهذا فإنهم لن يجدوا من ذلك شيئا، **فيقال لهم**: فكيف تحملون نصوص الصفات على المعنى المجازي؟!

لا شك أن هذا مردود؛ لأنه لو كان يراد منها المعنى مجازي لكان قد تكلم به بعض السلف، أو وجدت بعض النصوص التي تدل على ذلك، ولكن لم يوجد ـ ولا حتى حرف واحد ـ يدل على النفي.

○ قوله: (لكن للجهمية المتكلمة هنا كلام وللجهمية المتفلسفة كلام) ذكر المؤلف كلام الجهمية، **وهم طائفتان**:

الأولى: **الجهمية المتكلمة؛ وهم**: المعتزلة والأشاعرة، وسُمُّوا

بالجهمية المتكلمة؛ لأنهم أهل كلام.

الثانية: الجهمية المتفلسفة؛ الذين أصلهم فلاسفة اليونان والرومان.

وكلٌّ من الجهمية المتفلسفة والجهمية المتكلمة يتفقون على: نفي الصفات والأسماء عن الله ﷻ، ولكن يختلفون في الطريقة التي صرفت النصوص عن ظاهرها.

والجهمية نسبة إلى: الجهم بن صفوان الراسبي، فهو الذي أظهر ونشر القول بنفي الصفات، فنسب مذهب النفاة إليه فقيل: الجهمية.

ولكن أول من تكلم في الإسلام بنفي الصفات هو: الجعد بن درهم، وأنكر من الصفات صفتين: صفة الكلام وصفة الخُلَّة، وقال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما.

وإذا أنكر كلام الله فإنه يلزم من ذلك: إنكار الكتب المنزلة وإنكار الرسل والأنبياء، وأن لا يكون فيه بعث ولا جنة ولا نار.

قال الجعد: الخُلَّة معناها: الفقر، فقال: ليس معنى أن الله اتخذ إبراهيم خليلا، أي: أنه محبوب عند الله؛ بل معناه: أنه فقير محتاج إلى الله.

ويُرَدُّ عليه بأنه: لو كان معنى الخليل هو الفقير المحتاج إلى الله، لصار الكفار أيضاً فقراء محتاجون إلى الله، ولم يكن هناك ميزة للخليل، فكل الناس فقراء إلى الله!

وإنما أراد بنفي حقيقة الخلة ـ التي هي أرفع أنواع المحبة ـ: أن يقطع المدد والصلة بين الله وبين خلقه، فلا كتاب ولا رسول ولا محبة.

ولهذا شدد الإنكار عليه علماء زمانه من التابعين، حتى أفتوا

باستحقاقه للقتل، فقتله خالد بن عبدالله القسري ـ أمير العراق والمشرق بواسط ـ يوم عيد الأضحى، فأُتي به مُقيَّدا، فلما صلى خالدٌ بالناس صلاة العيد ثم صعد المنبر وخطب الناس خطبة العيد، قال في آخر الخطبة الثانية: «**ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد ابن درهم؛ فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما**»[(١)]، ثم نزل وأخذ السكين وذبح الجعد، والناس ينظرون.

فشكره العلماء وأثنوا عليه ومن ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الكافية الشافية فقال[(٢)]:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد ال ... قسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله ... كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة ... لله درك من أخي قربان

ولا شك أن قتله يعدل في الفضل والأجر ضحايا كثيرة؛ لأن قتْلَه فيه قطعٌ لدابر الشر والفساد، لكن قبل أن يُقتل كان قد اتصل به الجهم بن صفوان وأخذ عنه، واتصل أيضا بغيره من الصابئة والكفار، فنشر مذهبه وتوسع في نفي الصفات، فنُسبت عقيدة نفي الصفات إليه، فقيل: الجهمية، وإلا فالأصل أن الجعد هو أول من تكلم بذلك، وأن يقال لهم: الجعدية.

وقد قُتل الجهم أيضا على يد: سلم بن أحوز أمير خراسان[(٣)].

---

(١) انظر: القصة في: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٦/ ٣٠٠)، وتاريخ الإسلام (٧/ ٣٣٠)، البداية والنهاية (٩/ ٣٨٢).

(٢) النونية (ص١٤).

(٣) انظر: السير (٦/ ٢٦-٢٧)، لسان الميزان (٢/ ١٤٢)، الأعلام (٢/ ١٤١).

والجهم ينكر الأسماء والصفات جميعا، وقد ناظره قوم من فلاسفة الهند يُسمَّون: السُّمْنية، اتصل بهم الجهم وشككوه في إلهه وربه، وكان هؤلاء السُّمْنية لا يؤمنون إلا بالمحسوسات الخمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وما عاده فينكرونه.

فلما التقى بهم الجهم، قالوا له: إلهك هذا الذي تعبد هل رأيته بعيينك؟ **قال**: لا.

قالوا: هل سمعته بأذنيك؟ **قال**: لا.

قالوا: هل ذقته بلسانك؟ **قال**: لا.

قالوا: هل جسسته بيدك؟ **قال**: لا.

قالوا: هل شممته بأنفك؟ **قال**: لا.

قالوا: إذن هو معدوم.

فشكَّ الجهم في ربه وترك الصلاة أربعين يوما، ثم لما مضت الأربعون نقش الشيطانُ في ذهنه أن الله موجود وجودا مطلقا، فسلب عن الله جميع الأسماء والصفات، وأثبت لله وجودا في الذهن غير مسمى ولا موصوف.

ثم تقلد المعتزلةُ هذه العقيدة، وكذلك الأشاعرة، فصار عندهم نوع من التجهم، **فيقال**: جهمية المعتزلة، جهمية الأشاعرة، **ويقال لهم أيضا**: جهمية المتكلمين.

وهناك جهمية متفلسفة، وهم أشد من الجهمية المتكلمة الذين جاءوا مع الملاحدة وأنكروا الأسماء والصفات وسلبوا النقيضين.

وأصل الفلسفة: (فِيْلا سُوْفَا) يعني: محب الحكمة.

ثم بعد ذلك: جاء المتأخرون من فلاسفة الروم واليونان وغيرهم.

فالجهمية المتكلمة والمتفلسفة كل منهم: ملاحدة ينكرون الأسماء والصفات، ولا يؤمنون بأسماء الله وصفاته.

والفلاسفة هم: الحكماء في كل أمة، فالرومان لهم فلاسفة، واليونان لهم فلاسفة، والبربر لهم فلاسفة، وكل دولة لها فلاسفة.

لكن الذين اشتهروا هم: فلاسفة اليونان المتأخرون، **وزعيمهم**: أرسطو طاليس، وكان مشركاً يعبد الأصنام والأوثان، **ويُسمَّون**: بالفلاسفة المشائين؛ لأنهم يَدْرُسون عقائدهم وهم يمشون.

ثم جاء المعلم الثاني: أبو نصر الفارابي، **ثم جاء المعلم الثالث**: أبو علي ابن سينا، وهو الذي حاول أن يقرب الفلسفة من الإسلام، وهو مع محاولته الشديدة لم يصل إلى ما وصلت إليه الجهمية الغالية في التجهم، فهؤلاء الملاحدة فلسفتهم هي الدائرة والمتنشرة.

وكان الفلاسفة قبل أرسطو: يعظمون الشرائع والإلهيات، ويثبتون الصفات، ويقولون: إن العالم حادث، والله أوجده.

حتى جاء آخرهم: أفلاطون، فتتلمذ عليه أرسطو فخالف شيخه وهو تلميذ عاق.

وأرسطو هو أول من قال بقدم العالم، والقول بقدم العالم معناه: إنكار لوجود الله.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما المتفلسفة والقرامطة فيقولون؛ إن الرسل كلموا الخلق بخلاف ما هو الحق وأظهروا لهم خلاف ما يبطنون، وربما يقولون إنهم كذبوا لأجل مصلحة العامة؛ فإن مصلحة العامة لا تقوم إلا بإظهار الإثبات وإن كان في نفس الأمر باطلا. وهذا مع ما فيه من الزندقة البينة والكفر الواضح: قول متناقض في نفسه؛ فإنه يقال: لو كان الأمر كما تقولون والرسل من جنس رؤسائكم؛ لكان خواص الرسل يطلعون على ذلك؛ ولكانوا يطلعون خواصهم على هذا الأمر. فكأن يكون النفي مذهب خاصة الأمة وأكملها عقلا وعلما ومعرفة.

والأمر بالعكس؛ فإن من تأمل كلام السلف والأئمة، وجد أعلم الأمة ـ عند الأمة ـ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ بن جبل وعبدالله بن سلام وسلمان الفارسي وأبي بن كعب وأبي الدرداء وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو وأمثالهم؛ هم أعظم الخلق إثباتا.

الشَّرْح

○ قوله: (أما المتفلسفة والقرامطة) **القرامطة فرقة باطنية**، وسموا بذلك؛ نسبة إلى قِرْمِط بن حمدان، **وهؤلاء ملاحدة**؛ فعندهم أن للشريعة ظاهراً وباطنا، فالظاهر لعامة الناس، والباطن لهم، **فمثلا: الصلاة** عندهم لها ظاهر وباطن، فظاهرها الصلوات الخمس، وهذه لعامة الناس ـ ومن عامة الناس عندهم: الرسل

والأنبياء ـ وأما الخاصة فلهم الباطن وهو: معرفة أسرار شيوخهم.

وهكذا الصيام، فله عندهم ظاهر وباطن؛ فالظاهر للمسلمين وهو: الإمساك عن المفطرات بنية من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، والباطن هو: كتمان أسرار شيوخهم.

وهكذا الحج، فله ظاهر وباطن، فظاهره للمسلمين وهو: حج المسلمين إلى بيت الله الحرام وأداء المناسك، والباطن هو: السفر إلى شيوخهم.

وهؤلاء الملاحدة يقولون: إن الرسل كذابون؛ كلموا الخلق بخلاف ما هو الحق؛ لأجل مصلحة الخلق.

ويقولون: إن النبوة ليست هبة من الله، وإنما الرسول والنبي رجل عبقري عنده ذكاء قوي، فهو يكذب على الناس ويقول: هناك بعث وجزاء، وجنة ونار، ويأمر بالصلاة والصيام وهذا كله كذب؛ **قالوا**: فلما كانت مصلحة الناس تقتضي هذا، كذبوا لمصلحة الناس، فكُذب لهم ولم يُكذب عليهم، **قالوا**: وفرق بين أن تكذب لهم وبين أن تكذب عليهم، فالكذب لهم: لأجل مصلحتهم، **فإذا قيل لهم**: إن هناك جنة ونار، وحساب وعقاب، **قالوا**: إنما ذلك لمصلحتهم؛ حتى يتعايش الناس بسلام، فلا يعتدي أحد على أحد، وإلا فالواقع ما فيه لا جنة ولا نار، ولا حساب ولا عقاب.

○ قوله: **(فإن مصلحة العامة لا تقوم إلا بإظهار الإثبات وإن كان في نفس الأمر باطلا)** أي: أنهم يزعمون أن الرسل كذبوا على الناس وأخبروهم بخلاف الحق؛ لأن مصلحة الناس تقتضي هذا، وهو أنه لا تقوم مصلحتهم إلا بإظهار الإثبات، وإلا ففي الواقع ليس هناك لهذه الأشياء حقيقة.

فهؤلاء ملاحدة زنادقة، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع المسلمون على أنهم أكفر من اليهود والنصارى[(١)].

○ قوله: **(وهذا مع ما فيه من الزندقة البينة والكفر الواضح: قول متناقض في نفسه)** بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد عليهم، وذلك من وجهين:

الأول: أن كلامهم هذا زندقة وكفر واضح، فهم زنادقة ومنافقون في الدرك الأسفل من النار إذا ماتوا على ذلك.

الثاني: أنه قول متناقض في نفسه مع كونه كفر صريح ونفاق، أَيُّ عاقل يعرف أنه متناقض غير مستقيم.

وبيان وجه كونه متناقضاً، أنه: **لو كان الأمر كما تقولون** ـ من أن الرسل يعلمون في خاصة أنفسهم أن المذهب الحق مذهب النفاة، وأنه لا يوجد جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب ـ **لأطلعوا عليه خواصهم، ولأخبروهم بالحقيقة**، ومعلوم أن خواص الرسول ﷺ وهم صحابته، كأن يخبر أبا بكر وعمر أنه ليس ثَمَّ جنة ولا نار، فهل ثبت عن أحدهم إنكار الجنة والنار، أو أسمائه وصفاته؟!

○ قوله: **(والأمر بالعكس)** لو كان الأمر كما تقولون لكان النفي مذهب الخواص وهم الصحابة، ويكون مذهب العامة: الإثبات.

---

(١) التدمرية (٤٣)، ومجموع الفتاوى: (٢٨/ ٤٠٨) ومنهاج السنة (٣/ ٤٥٢) (٤/ ٥١٩) (٨/ ٤٨٦) وانظر بنحوه: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٩٥) بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية (٤٨٨) ومجموع الفتاوى: (٢/ ١٣٠) (٤/ ٤١٣) (٥/ ١٩٧) (١٢/ ٣٣٧) (١٣/ ٢٠٩) (٣٥/ ١٣٣) (٣٥/ ١٤٣-١٤٤) (٣٥/ ١٤٩-١٥٠) (٣٥/ ١٦٢).

○ قوله: **(فإن من تأمل كلام السلف والأئمة، وجد أعلم الأمة ... هم أعظم الخلق إثباتا)** لأن كلام السلف والصحابة كله إثبات للأسماء والصفات وإثبات للجنة والنار، على عكس مذهب النفاة.

فهؤلاء هم خاصة الرسول ومذهبهم هو الإثبات، ولو كان الأمر كما تزعمون مع كونه كفر وزندقة لكان الرسول ﷺ قد أطْلع خواصه على المذهب الحق، وهؤلاء خواصه وهم أعظم الخلق إثباتا، **فبطل ما تدَّعونه من**: أن الرسل كذبوا لأجل مصلحة الناس، وأن الحق هو النفي دون الإثبات.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذلك أفاضل التابعين: مثل سعيد بن المسيب وأمثاله والحسن البصري وأمثاله وعلي بن الحسين وأمثاله وأصحاب ابن مسعود وأصحاب ابن عباس وهم من أجل التابعين. بل النقول عن هؤلاء في الإثبات يخبر عن إثباته كثير من الناس، وعلى ذلك تأول يحيى بن عمار وصاحبه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري ما يروى: (أَنَّ مِنْ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا أَهْلُ الْعِلْمِ بِاَللَّهِ فَإِذَا ذَكَرُوهُ لَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا أَهْلُ الْغِرَّةِ بِاَللَّهِ)[1] تأولوا ذلك على ما جاء من الإثبات؛ لأن ذلك ثابت عن رسول الله ﷺ والسابقين والتابعين لهم بإحسان بخلاف النفي فإنه لا يوجد عنهم ولا يمكن حمله عليه. وقد جمع علماء الحديث من المنقول عن السلف في الإثبات ما لا يحصي عدده إلا رب السموات. ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد، إلا أن يكون من الأحاديث المختلقة التي ينقلها من هو من أبعد الناس عن معرفة كلامهم.

الشَّرْح

○ قوله: (وكذلك أفاضل التابعين...) لو كان الأمر كما يدعِّي هؤلاء الملاحدة لكان يجب أن يكون مذهب أفاضل التابعين هو:

(١) أخرجه أبو عبدالرحمن السلمي في كتابه: الأربعون في التصوف (ص١٣)، قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢٩): رَوَاهُ أَبُو عبدالرَّحْمَن السّلمِيّ فِي الْأَرْبَعين لَهُ فِي التصوف من حَدِيث أبي هُرَيْرَة بِإِسْنَاد ضَعِيف.

النفي، كما هو الحال في الصحابة؛ الذين هم خواص الرسول ﷺ، والواقع أن مذهبهم جميعا هو: الإثبات.

○ قوله: **(بل النقول عن هؤلاء في الإثبات يخبر عن إثباته كثير من الناس)** **يعني**: المنقول عن هؤلاء الأفاضل هو: الإثبات، وقد نقل هذا الإثبات عنهم كثير من الناس.

○ قوله: **(وعلى ذلك تأول يحيى بن عمار وصاحبه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري ما يروى ... على ما جاء من الإثبات)** أبو إسماعيل الأنصاري الهروي له كتاب: **(منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين)**، هذا الكتاب شرحه الإمام ابن القيم في كتابه: **(مدارج السالكين)**، وأبو إسماعيل الهروي له مواقف مشكورة ضد النفاة، وله: **(الأربعون في دلائل التوحيد)**، لكن لمَّا جاء في باب السلوك وقع فيما وقعت فيه الصوفية. ولما شرح ابن القيم كلامه بيَّن ما فيه من الباطل، واعتذر له ودافع عنه.

والمؤلف رحمه الله ذكره؛ لأنه معروف بإثبات الأسماء والصفات، فيحيى بن عمار وصاحبه أبو إسماعيل الهروي تأولوا ما يروى على فرض صحته على ما جاء من الإثبات، وأهل العلم بالله هم الذي يثبتون الأسماء والصفات.

○ قوله: **(لأن ذلك ثابت عن رسول الله ﷺ والسابقين والتابعين لهم بإحسان)** يعني: أن المعروف عن التابعين هو: الإثبات، وعلى ذلك تأولوا هذا الحديث على الإثبات؛ فقوله: **(أَنَّ مِنْ الْعِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ)** يعني: إثبات الأسماء والصفات لله؛ لأن ذلك هو الثابت عن الرسول ﷺ وهو الثابت عن السابقين والتابعين لهم بإحسان، بخلاف مذهب النفي فإنه لا يوجد عن الصحابة ولا

عن التابعين ولا يمكن نقله عنهم.

وهذا الحديث باطل؛ فإن في سنده رافضيٌّ خبيث، فلا يقبل ولا كرامة، **وإنما مقصود المؤلف**: أنه لو صح فهو محمول على الإثبات، ولكنه لم يصح.

○ قوله: **(وقد جمع علماء الحديث من المنقول عن السلف في الإثبات ما لا يحصي عدده إلا رب السموات. ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد)** أي: أن علماء الحديث نقلوا وجمعوا من المنقول عن السلف والأئمة والتابعين والصحابة ومَن وبعدهم، مِن إثبات الأسماء والصفات: نصوصا وأدلة كثيرة، ولم يقدر أحد أن يأتي عنهم في النفي بحرف واحد، **(إلا أن يكون من الأحاديث المختلقة)** أي: المكذوبة **(التي ينقلها من هو من أبعد الناس عن معرفة كلامهم)** أي: عن معرفة كلام السلف من الصحابة والتابعين.

۞ الخلاصة:

أن السلف والصحابة والتابعين على إثبات الأسماء والصفات لله خلافا لأهل البدع الذين ينفونها.

فلا تجد عنهم حرفا واحدا فيه نفي الأسماء والصفات عن الله، بل النصوص التي وردت عنهم ـ ولا تحصى كثرة ـ كلها في إثبات الأسماء والصفات لله.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن هؤلاء من يتمسك بمجملات سمعها، بعضها كذب وبعضها صدق، مثل ما ينقلونه عن عمر أنه قال: (كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما)[1]. فهذا كذب باتفاق أهل العلم بالأثر، وبتقدير صدقه فهو مجمل، فإن قال أهلُ الإثبات كان ما يتكلمان فيه من هذا الباب لموافقته ما نقل عنهما، كان أولى من قول النفاة إنهما يتكلمان بالنفي.

الشَّرْح

○ قوله: **(ومن هؤلاء من يتمسك بمجملات سمعها)** يتمسك بعمومات مجملة توضحها النصوص الأخرى.

○ قوله: **(بعضها كذب وبعضها صدق)** وهذا لا عبرة به، لكن المنقول عن علماء الحديث هو الإثبات.

○ قوله: **(مثل ما ينقلونه عن عمر أنه قال: (كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما))** مثال المجملات التي هي كذب: هذا الحديث الذي ساقه المؤلف عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والذي فيه الزعم بأنه ﷺ وأبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتكلمان بنفي الأسماء والصفات عن الله، ولم يفهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلامهما، كأني زنجي بينهما ـ الزنوج: أعاجم، ليسوا بعرب ـ.

---

(١) حديث موضوع، انظر: مجموع الفتاوى (١١/١٠٩)، والمنار المنيف (١١٥).

ويجاب عن هذا بما يلي:

أولاً: أن هذا الحديث موضوع مكذوب، كما ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد سئل عنه كما في مجموع الفتاوى فقال: هذا كذب ظاهر لم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث، ولم يروه إلا جاهل أو ملحد[(١)].

فالرسول ﷺ يتكلم بالعربية وأبو بكر يتكلم بالعربية، فكيف لا يفهم كلامهما عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ!

ثانيا: لو سلَّمنا جدلاً أنه صحيح، فهو مجمل؛ كما قال المؤلف: **(وبتقدير صدقه فهو مجمل)** أي: تفسره النصوص الأخرى التي أثبتت الأسماء والصفات لله.

فنحن نُسلِّم لهم من جهة حتى نرد عليهم من جهة أخرى، مثل: الفارس الذي يكر على العدو والعدو في مكمنه، فيوهم أنه فرَّ حتى يخرج عليه من مكمنه، فإذا خرج: كرَّ عليه وضربه وقاتله، فكذلك نحن نُسلِّم من جهة حتى نضرب الخصم من جهة أخرى.

○ قوله: **(فإن قال أهلُ الإثبات)** لعل صواب العبارة: **(فإن قَوْل أهلِ الإثبات)** فهو أحسن.

۞ الخلاصة:

أن هذا الحديث كذب، ولو قُدِّرت صحته فيكون قول أهل الإثبات مقدَّمٌ على قول أهل النفي، فيفسَّر بما يوافق قول أهل الإثبات، ولا يفسَّر بما يقوله أهل النفي؛ لأنه يوافق ما نُقل عن أهل الإثبات.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٧٧) وانظر: أحاديث القُصاص (٦١).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذلك حديث جراب أبي هريرة رضي الله عنه لما قال: حَفِظْت عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِرَابَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَبَثَثْته فِيكُمْ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْته لَقَطَعْتُمْ هَذَا الْبُلْعُومَ[1] فإن هذا حديث صحيح؛ لكنه مجمل.

وقد جاء مفسرا: أن الجراب الآخر كان فيه حديث الملاحم ولو قدر أن فيه ما يتعلق بالصفات فليس فيه ما يدل على النفي؛ بل الثابت المحفوظ من أحاديث أبي هريرة كحديث: إتْيَانِهِ سبحانه يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَحَدِيثِ النُّزُولِ، وَالضَّحِكِ، وأمثال ذلك كلها على الإثبات؛ ولم ينقل عن أبي هريرة حرف واحد من جنس قول النفاة.

الشَّرْح

○ قوله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَبَثَثْته فِيكُمْ) أي: حدثتكم وأخبرتكم به، (وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْته لَقَطَعْتُمْ هَذَا الْبُلْعُومَ) أي: قد كتمته، ولو أخبرتكم به لقُتلت. فبيَّن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه حفظ عن النبي ﷺ قسمين؛ قسم حدث به وقسم سكت عنه، فالذي سكت عنه خشي من القتل لو بثَّه.

○ قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ جَاءَ مُفَسَّرًا: أَنَّ الْجِرَابَ الْآخَرَ...) فالذي بثه فيهم هي: أحاديث الأحكام والسنن، والذي سكت عنه هي: أحاديث الملاحم وأمراء الجور الظلم في آخر الزمان، وهذه لا

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب حفظ العلم، رقم (١٢٠).

تتعلق بدين الناس في شيء.

ولو قدر فرضاً أن في هذا الجراب الذي كتمه ما يتعلق بالصفات، لكان فيه ما يدل على الإثبات، ولم يكن فيه ما يدل على النفي.

○ قوله: **(بلْ الثَّابِتُ الْمَحْفُوظُ مِنْ أَحَادِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ)** لأن كل المحفوظ من أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه التي حدث بها: الإثبات دون النفي؛ **(كَحَدِيثِ: إتْيَانِهِ سبحانه يَوْمَ الْقِيَامَةِ)** وهو حديث الرؤية الطويل، وفيه: «**فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ**»[(١)] **فهذا الحديث فيه**: إثبات الاتيان لله عز وجل في يوم القيامة على ما يليق بجلال الله وعظمته، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر:٢٢]، فحديث إتيان الله جاء في القرآن والسنة.

○ قوله: **(وكذلك حَدِيثِ النُّزُولِ)** وهو حديث متواتر رواه أهل السنن والمسانيد، وهو قوله ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[(٢)] حتى يطلع الفجر. وهذا النزول يليق بجلال الله وعظمته، فنؤمن بأن الله ينزل ولا نعلم كيف ينزل، وهو فوق العرش.

لكن هؤلاء النفاة يقولون: العقل دل على نفي الأسماء والصفات عن الله، وظاهر الشرع دل على إثبات الأسماء والصفات،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب فضل السجود، رقم (٨٠٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، رقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعه، باب الدعاء في الصلاة، من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٥٨).

والعمدة على العقل.

قالوا: إن عقولنا دلتنا على أن إثبات الأسماء والصفات لله باطل، والحق مادلتنا عليه عقولنا وهو: نفي الأسماء والصفات عن الله، فتكون العقول دلت على النفي، والنصوص دلت على الإثبات، والهدى إنما استفيد من العقول، **وعلى ذلك**: تكون النصوص أفادت الناس الضلال، لأنه عكس الهدى، ويكون الرسول نصب للناس أسباب الضلال، حيث أتى بالكتاب والسنة الذين فيهما إثبات الأسماء والصفات لله، ويكون الله ـ على زعمهم ـ قد أحال العباد على العقول!

○ قوله: **(وكذلك حديث الضَّحِكِ)** وفيه: «**يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلَانِ الجَنَّةَ: يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى القَاتِلِ، فَيُسْتَشْهَدُ**»[(١)] يعني: اثنان كافر ومسلم، مسلم يقاتل الكفار في المعركة، فالكافر قتل المسلم فصار شهيدا، ثم منَّ الله على الكافر بالإسلام، فتاب الله على الكافر الذي أسلم واستشهد، فكلاهما يدخل الجنة.

وهذا الحديث فيه: إثبات الضحك لله على ما يليق بجلاله وعظمته.

○ قوله: **(وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ حَرْفٌ وَاحِدٌ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ النفاة)** بل كلُّ الذي نُقل عن أبي هريرة هو الإثبات، فيُحمل ما في الجراب لو كان فيه شيء من الصفات على: الإثبات، وبهذا انتهى الرد على الجهمية المتفلسفة.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل (٢٨٢٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، رقم (١٨٩٠).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأما الجهمية المتكلمة فيقولون إن القرينة الصارفة عن ما دل عليه الخطاب هو العقل، فاكتفى بالدلالة العقلية، الموافقة لمذهب النفاة، فيقال لهم:

أولا: فحينئذ إذا كان ما تكلم به إنما يفيدهم الإضلال؛ وإنما يستفيدون الهدى من عقولهم: كان الرسول قد نصب لهم أسباب الضلال ولم ينصب لهم أسباب الهدى، وأحالهم في الهدى على نفوسهم.

فيلزم على قولهم أن تركهم في الجاهلية خير لهم من هذه الرسالة التي لم تنفعهم؛ بل ضرتهم.

ويقال لهم ثانيا: فالرسول ﷺ قد بين الإثبات الذي هو أظهر في العقل من قول النفاة. مثل ذكره لخلق الله تعالى وقدرته ومشيئته وعلمه ونحو ذلك ـ من الأمور التي تعلم بالعقل ـ أعظم مما يعلم نفي الجهمية.

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ طريقة الجهمية المتكلمة، الذين هم: المعتزلة والأشاعرة، حيث قالوا: إن القرينة الصارفة لما دل عليه الخطاب من إثبات الأسماء والصفات هو: العقل، فالعقل يدل على أننا لا نثبت الأسماء والصفات لله؛ لأنا لو وصفْنا الله بأنه عليم والمخلوق عليم، وأن الله قادر والمخلوق قادر، وأن الله مستو والمخلوق

مستو، لشبهنا الله بخلقه، والله ليس كمثله شيء؛ **فإذن**: العقل يقتضي نفي الأسماء والصفات عن الله، **وعلى هذا**: يكون أهل السنة الذين أثبتوا الأسماء والصفات مشبِّهون قد شبَّهوا الله بخلقه، وجعلوا الله مثل خلقه.

مع أن هؤلاء النفاة متنازعون فيما بينهم في هذا الباب، وكلٌّ منهم يعتمد هذا الأصل الباطل، فيما ينفيه ويتأوله من الصفات.

والمقصود: أنهم يَرُدُّون ظواهر نصوص الصفات اكتفاءً بما دلت عليه عقولهم.

والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ **أجاب عن قولهم**: بإن القرينة الصارفة لما دل عليه الخطاب هو: العقل؛ بعدة أدلة.

(أولا: فحينئذ إذا كان ما تكلم به إنما يفيدهم الإضلال؛ وإنما يستفيدون الهدى من عقولهم: كان الرسول قد نصب لهم أسباب الضلال ولم ينصب لهم أسباب الهدى، وأحالهم في الهدى على نفوسهم) هذا هو الجواب الأول: أنه لو كان ما تقولون حقاً، من أن العقل يقضي بنفي الأسماء والصفات عن الله ﷻ، وأن العمدة عليه لا على النصوص، للزم من ذلك أن الرسل تكلموا بالضلال، فأتوا بالنصوص التي تفيد إضلال الناس ولا تفيد هداهم، فتكون النصوص من الكتاب والسنة أفادت الناس الضلال، والذي يفيدهم الهدى هو عقولهم!

○ قوله: **(فيلزم على قولهم أن تركهم في الجاهلية خير لهم من هذه الرسالة التي لم تنفعهم؛ بل ضرتهم) أي: أنه يلزم على هذا القول**: أن يكون تَرْكُ الناس في الجاهلية خير لهم من الرسالة التي لم تنفعهم، بل صارت ضرراً عليهم؛ وذلك أن الرسالة زادتهم

ضلالاً وعمى، وهم قبل ذلك لم يعرفوا هذا الضلال؛ فبقاؤهم في الجاهلية خير لهم، لأنهم لم يكونوا يعرفون الضلال إلا بعد مجيء الرسالة، والهدى إنما هو مأخوذ من العقول!.

○ قوله: **(ويقال لهم ثانيا: فالرسول ﷺ قد بين الإثبات الذي هو أظهر في العقل من قول النفاة) هذا هو الجواب الثاني**، وهو أن يقال لهم: الرسول ﷺ قد بين الإثبات فيما جاء به من الكتاب والسنة، وهو أظهر في العقل من قول النفاة، مثلُ ذكرِه لخلق الله وقدرته ومشيئته فهذه الأمور التي فيها الإثبات أظهر في العقل من قول النفاة؛ أي: أن العقل أكثر قبولا لها من قبوله لقول النفاة، مع أنها غير سائغة عقلا، ولا شرعا.

وكذلك أيضا ما يماثل هذه الصفات التي تُعلم بدلالة العقل.

وكذلك غيرها من الأمور التي تعلم بالعقل من صفاته تعالى التي هي أعظم مما يعلم من نفي الجهمية لها بحجة دلالة العقل على ذلك.

فالعقل يدل على قول أهل الإثبات، **ويقبل** هذا الإثبات الذي جاءت به النصوص، **وكذلك دلالة الفطرة** على الإثبات: فكل شخص مفطور على إثبات خلق الله، وقدرته ومشيئته وعلمه، وأن الله على كل شيء قدير، بل الحيوانات العجماوات إذا أصابها شيء رفعت رأسها إلى السماء؛ لأنها تعلم أن الله على كل شيء قدير، وأنه هو الذي أنصفها ممن ظلمها.

فمن الآيات الواردة في الإثبات ـ وهي كثيرة جدا ـ:

١ ـ قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧].

٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٢].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ [الأنعام: ٣٩].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحُجرَات: ١٨].

٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطّلَاق: ١٢].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٩].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو لم يتكلم بما يناقض هذا الإثبات.

فكيف يحيلهم على مجرد العقل في النفي الذي هو أخفى وأدق وكلامه لم يدل عليه؛ بل دل على نقيضه وضده، ومن نسب هذا إلى الرسول ﷺ فالله حسيبه على ما يقول.

والمراتب ثلاث: إما أن يتكلم بالهدى أو بالضلال أو يسكت عنهما. ومعلوم أن السكوت عنهما خير من التكلم بما يضل، وهنا يعرف بالعقل أن الإثبات لم يسكت عنه، بل بيَّنه.

الشَّرْح

○ قوله: (وهو لم يتكلم بما يناقض هذا الإثبات) **أي**: الرسول ﷺ لم يتكلم بما يناقض هذا الإثبات، بل أتى ﷺ بالإثبات ولم يتكلم بما يناقضه.

○ قوله: (فكيف يحيلهم على مجرد العقل في النفي الذي هو أخفى وأدق) يعني: الأمور الثبوتية ظاهرة في العقل، وأمور النفي أخفى وأدق، فكيف يحيلهم الرسولُ ﷺ على العقول في النفي الذي هو أخفى وأدق، ولا يحيلهم على الإثبات الذي هو أظهر في العقل؟ **فأيهما يقدم: الأظهر أم الأخفى؟**

■ **الجواب**: المقدم ـ بلاشك ـ هو الأظهر وهو الإثبات؛ ولا يمكن أن يحيل النبي ﷺ الناس على الأخفى وهو مجرد العقل في النفي، دون الأظهر.

○ قوله: (وكلامه لم يدل عليه) كلام الرسول ﷺ لم يدل على نفي إثبات الصفات إطلاقا.

ولا يستطيع أحد أن ينقل عنه في ذلك نقلا صحيحا؛ بل كل ما رُوي عنه في هذا الباب فهو كذب موضوع.

○ قوله: (بل دل على نقيضه وضده) أي: أن ما جاء عنه ﷺ قد دل على نقيض النفي، وهو: الإثبات.

○ قوله: (ومن نسب هذا إلى الرسول ﷺ) أي: من نسب إليه أنه جاء بالنفي (فالله حسيبه على ما يقول) يعني: فالله كافينا منه، فزاعم هذا سينتقم الله منه، وسيحاسبه على افترائه على الرسول ﷺ بنسبة النفي إليه.

○ قوله: (والمراتب ثلاث: إما أن يتكلم بالهدى أو بالضلال أو يسكت عنهما) يعني: **الأحوال التي يتصورها العقل تجاه الرسول ﷺ حينما جاء بالكتاب والسنة ثلاثة:**

الحال الأولى: أنه تكلم بالهدى.

الحال الثانية: أن تكلم بالضلال.

الحال الثالثة: أنه سكت عن الهدى والضلال.

وليس هناك أمر رابع يتصوره العقل، فالقسمة إذن ثلاثية.

○ قوله: (ومعلوم أن السكوت عنهما خير من التكلم بما يضل، وهنا يعرف بالعقل أن الإثبات لم يسكت عنه، بل بيَّنه) معلوم أن السكوت عن الهدى والضلال خير من التكلم عن الضلال، فكونه يتكلم بالهدى هذا هو الدرجة العليا، أو يسكت عنهما هذا أفضل من كونه يتكلم بالضلال، والرسول ﷺ لم يسكت عن الإثبات، بل أثبت لله الأسماء والصفات في الكتاب والسنة وبيَّنه وهذا البيان

للإثبات الذي جاء في الكتاب والسنة يوافقه العقل، فكان الواجب فيما ينفيه العقل أن يتكلم فيه بالنفي، كما فعل فيما يثبته العقل، لكن قد عُلم بالعقل أنه لم يسكت عن الإثبات، بل تكلم به وبينه، كما سيذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان ما جاء به السمع موافقا للعقل، فكان الواجب فيما ينفيه العقل أن يتكلم فيه بالنفي كما فعل فيما يثبته العقل. وإذا لم يفعل ذلك كان السكوت عنه أسلم للأمة، أما إذا تكلم فيه بما يدل على الإثبات وأراد منهم أن لا يعتقدوا إلا النفي؛ لكون مجرد عقولهم تعرفهم به فإضافة هذا إلى الرسول ﷺ من أعظم أبواب الزندقة والنفاق.

الشَّرْح

○ قوله: (وكان ما جاء به السمع موافقا للعقل) **السمع هو**: الدليل من الكتاب والسنة، سُمي سمعياً؛ لأنه مسموع، فأدلة الكتاب والسنة تسمى أدلة سمعية؛ لأنها تسمع بالأذن ـ قال الله قال رسوله ـ **والأدلة العقلية هي**: التي تفهم بالعقل.

○ قوله: (فكان الواجب فيما ينفيه العقل أن يتكلم فيه بالنفي، كما فعل فيما يثبته العقل) الأدلة من الكتاب والسنة توافق العقل، فما دام أن العقل يوافق الشرع كان الواجب فيما ينفيه العقل أن يتكلم فيه بالنفي، وكذلك جاء العقل بما يوافق الشرع من الاثبات فيجب إثباته، فإذا نفى العقلُ الصريح شيئا كان الواجب أن يتكلم الشرع بالنفي موافقة له؛ لأنه عقل سليم، والعقل يدل على أن الرسول جاء بالإثبات، والشرع جاء موافقاً للعقل.

فالعقل الصريح يوافق النقل الصحيح، وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتاباً في موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح، سماه: (درء تعارض النقل والعقل).

فلا يمكن أن يتعارض نقل صحيح وعقل صريح، فإذا تعارضا فلابد أن يكون النقل غير صحيح، أو العقل غير صريح.

فإذا كان العقل يوافق الشرع في إثبات الأسماء والصفات ثم جاء العقل فنفى شيئا، فلا بد أن يوافق الشرع فيما ينفيه كما أنه وافقه فيما يثبته.

○ قوله: **(وإذا لم يفعل ذلك كان السكوت عنه أسلم للأمة)** إذا لم يوافق ذلك الشرع ولم يأت بما يدل على الإثبات، فالسكوت عنه أسلم للأمة، يسكت لا يثبت ولا ينفي.

○ قوله: **(أما إذا تكلم فيه)** يعني: فيما جاء به في باب الأسماء والصفات **(بما يدل على الإثبات)** أي: بما يدل ظاهره على إثبات الصفات **(وأراد منهم أن لا يعتقدوا إلا النفي؛ لكون مجرد عقولهم تعرفهم به فإضافة هذا إلى الرسول ﷺ من أعظم أبواب الزندقة والنفاق)** يعني: أن زعم كون الرسول ﷺ تكلم بما يدل على الإثبات، ولكنه يريد من الأمة أن يعتقدوا النفي؛ لأن عقولهم تُعرِّفهم بالنفي، وإضافة هذا إلى الرسول ﷺ من أعظم أبوب الزندقة والنفاق.

والنفاق هو: أن يتكلم الإنسان بخلاف ما يعتقده، فيكون له باطن وظاهر، كالمنافقين الذي يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر.

وكان هؤلاء ـ الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر ـ **على عهد النبي ﷺ يُسمَّون منافقين.**

ثم صاروا يُسمَّون زنادقة، ويطلق الزنديق على الجاحد.

ثم صاروا في زمننا هذا يُسمَّون علمانيين، فالعلمانيون منافقون، يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وفيهم صحفيون وغيرهم، وهم معروفون بسبِّ الإسلام والمسلمين بطرق ملتوية، مع تظاهرهم بالإسلام، مع أنهم يطالبون بالشر والفساد على المسلمين ويطالبون بهدم المناصب الدينية ـ مثل: القضاء الشرعي، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ لما في قلوبهم من النفاق والزندقة؛ ولأنهم منافقون لا يحبون الله ورسوله، يريدون أن يَظهر الفسادُ وينتشر، وألا يكون هناك أمر ولا نهي.

فالعلماني في حقيقة أمره: يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر، فهو يريد الشر والفساد للمسلمين، فقلوبهم مليئة بالنفاق والزندقة، وإن تظاهروا بالإسلام وتكلموا به، كما كان سلفهم يتكلمون على عهد النبي ﷺ كعبد الله بن أُبي وغيره، لكنهم يَظهرون في وقت الفتن والأزمات، والأزمات، فيَبُثُّون شرهم ومعتقدهم ـ نسأل الله أن يكفي المسلمين شرهم ـ.

فالمنافق هو: الزنديق، **وهو**: العلماني، فالمسمى واحد؛ لكن اختلفت الأسماء بحسب الأزمان.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويقال لهم ثالثا: من الذي سلم لكم أن العقل يوافق مذهب النفاة؛ بل العقل الصريح إنما يوافق ما أثبته الرسول، وليس بين المعقول الصريح والمنقول الصحيح تناقض أصلا، وقد بسطنا هذا في مواضع. وبينا فيها أن ما يذكرون من المعقول المخالف لما جاء به الرسول ﷺ، إنما هو جهل وضلال، تقلده متأخروهم عن متقدميهم، وسموا ذلك عقليات؛ وإنما هي جهليات، ومن طلب منه تحقيق ما قاله أئمة الضلال بالمعقول لم يرجع إلا إلى مجرد تقليدهم. فهم يكفرون بالشرع ويخالفون العقل تقليدا لمن توهموا أنه عالم بالعقليات.

الشَّرْح

○ قوله: (ويقال لهم ثالثا: من الذي سلم لكم أن العقل يوافق مذهب النفاة) **هذا هو الجواب الثالث**، وهو أن يقال: إن العقل يوافق مذهب أهل الإثبات؛ لأن العقل الصريح يوافق النقل الصحيح، **والعقل الصريح هو**: الخالص الذي ليس فيه شبهة ولا شهوة؛ فإذا كان فيه شبهة تمكنت من رأسه لم يكن صريحا، أو كانت فيه شهوة ـ أي: معصية، من إرادة الفساد والضلال ـ لم يكن سليما.

فالواجب ألا يعمل بما دلت عليه تلك الشبهة، ولا بما تمليه عليه الشهوة.

فإذا سلم العقل من الشبهة والشهوة يقال له: عقل صريح، وإذا

كانت فيه شبهة أو شهوة فيقال له: عقل غير صريح.

والنقل لا بد أن يكون نقلاً صحيحا إما من القرآن، وإما من السنة، وذلك بأن يكون السند بها متصلاً، رواته عدول ضابطون، ليس فيه علة ولا شذوذ؛ فحينئذ يكون النقل صحيحا.

تقرر إذن أن النقل الصحيح لابد أن يوافق العقل الصريح.

○ قوله: **(وليس بين المعقول الصريح والمنقول الصحيح تناقض أصلا)** أي: إذا وجد عقل صريح ونقل صحيح فلا يمكن أن يتناقضا، فإن **التناقض لا يكون إلا لوجود خلل في أحدهما**:

فإما أن يكون النقل غير صحيح؛ وذلك لضعف رواته، أو انقطاع في سنده، أو شذوذ في سنده أو متنه، أو لعلة خفية تقدح فيه.

وإما أن يكون العقل غير صريح؛ وذلك لوجود شبهة فيه، أو شهوة.

○ قوله: **(وقد بسطنا هذا في مواضع)** ومن أوسع الكتب التي بسط فيها المؤلف هذا المبحث، كتابه العظيم: «**درء تعارض العقل والنقل**»، وبعضهم يختصر الاسم فيسميه: (العقل والنقل)، وقد امتدح ابن القيم هذا الكتاب في النونية بقوله[1]:

واقرأ كتاب العقل والنقل الذي ... ما في الوجود له نظير ثاني

أي: ليس له في الوجود نظير في بابه.

○ قوله: **(وبيَّنا فيها أن ما يذكرون من المعقول المخالف لما جاء به الرسول ﷺ، إنما هو جهل وضلال)** بيَّن شيخ الإسلام رحمه الله

(١) النونية بشرح ابن عيسى (٢/ ٢٩٠).

أن ما يدعونه من أن العقل دل عليه وهو مخالف لما جاء به الرسول، أن ذلك جهل وضلال.

○ قوله: **(تقلده متأخروهم عن متقدميهم)** ينقله المتأخر منهم عن المتقدم، وهو جهل وضلال.

○ قوله: **(وإنما هي جهليات، ومن طلب منه تحقيق ما قاله أئمة الضلال بالمعقول لم يرجع إلا إلى مجرد تقليدهم)** أي: أن من طلب منه ذلك، بأن قيل له: حقق ما يقوله أئمتكم بالمعقول، لم يكن عنده جواب؛ لأنه يقلدهم.

○ قوله: **(فهم يكفرون بالشرع ويخالفون العقل؛ تقليدا لمن توهموا أنه عالم بالعقليات)** يعني: هؤلاء النفاة الملاحدة من الجهمية المتكلمة والجهمية المتفلسفة، يكفرون بالشرع ويخالفون العقل؛ تقليداً لأئمتهم الذين يدّعون أن عندهم علمٌ بالعقليات.

قال المؤلف رحمه الله:

وهم مع أئمتهم الضُلَّال كقوم فرعون معه حيث قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وقال تعالى عنه: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾ [القصص: ٣٩-٤١] وفرعون هو إمام النفاة.

ولهذا صرح محققوا النفاة بأنهم على قوله كما يصرح به الاتحادية من الجهمية النفاة. إذ هو الذي أنكر العلو وكذب موسى فيه وأنكر تكليم الله لموسى قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] والله تعالى قد أخبر عن فرعون أنه أنكر الصانع بلسانه فقال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٣] وطلب أن يصعد ليطلع إلى إله موسى، فلو لم يكن موسى أخبره أن إلهه فوق لم يقصد ذلك؛ فإنه هو لم يكن مقرا به، فإذا لم يخبره موسى به لم يكن إثبات العلو لا منه ولا من موسى؛ فلا يقصد الاطلاع ولا يحصل به ما قصده من التلبيس على قومه بأنه صعد إلى إله موسى في السماء؛ ولكان صعوده إليه كنزوله

إلى الآبار والأنهار وكان ذلك أهون عليه؛ فلا يحتاج إلى تكلف الصرح.

الشَّرْح

○ قوله: **(وهم مع أئمتهم الضُّلَّال كقوم فرعون معه)** يعني: أن هؤلاء النفاة مع أئمتهم يتبعونهم على ضلالهم، شَبَهُهُم بقوم فرعون في اتباعهم لفرعون على الضلال.

○ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤] أي: أن فرعون استخف قومه حين أطاعوه بقوله لهم: أنا ربكم الأعلى.

○ قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القصص: ٤٠] أي: في البحر.

○ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ [القصص: ٤١] أي: أئمة ضلال، **والأئمة نوعان:**

أئمة هدى، وأئمة ضلال، وفرعون ومتقدمي هؤلاء النفاة الملاحدة: أئمة ضلال.

○ قوله: **(وفرعون هو إمام النفاة)** **إمام النفاة**: فرعون، **وأئمة الإثبات هم**: محمد وإبراهيم وموسى والرسل عليهم السلام، فالرسل كلهم على هذا.

فمن نفى الأسماء والصفات عن الله فهو: فرعوني نسبة إلى فرعون.

ومن أثبت الأسماء والصفات فهو: محمدي، وإبراهيمي، وموسوي، نسبة إلى: محمد وإبراهيم وموسى عليهم السلام.

هؤلاء الملاحدة النفاة إمامهم: فرعون؛ لأنه أنكر وجود الرب، قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾ [النَّازعَات: ٢٤]؛ فأنكر الربَّ العظيم الذي قامت بأمره السماوات والأرض.

والنفاة الجهمية أنكروا أسماء الله وصفاته، وقالوا: إن الله ليس له سمع ولا بصر ولا علم ولا قدرة، ولا يوصف بأنه فوق، ولا يوصف بأنه استوى، ولا بأنه يخلق ويرزق، فلم يُثْبِتُوا الأسماء ولا الصفات.

فكذلك هؤلاء الملاحدة يقولون عن معبودهم: أنه ليس له سمع ولا بصر ولا قدرة، ولا فوق، ولا يصعد ولا ينزل، ولا يخلق ولا يرزق، ولا يحي ولا يميت، ولا يتصف بأي صفة.

وهذه الصفات هي صفات المعدوم، بل لو قلت: صف لي المعدوم بأكثر من هذا، لَمَا استطعت.

○ قوله: **(ولهذا صرح محققوا النفاة بأنهم على قوله كما يصرح به الاتحادية من الجهمية النفاة)** محققو النفاة من الجهمية، ومحيي الدين ابن عربي، كلهم صرحوا بأنهم على مذهب فرعون، فهذا مذهب الفرعونية.

فالاتحادية ـ وهم ابن عربي وطائفته ـ يقولون: ليس هناك خالق ومخلوق، ولا رب وعبد، إنما الخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق، فقالوا: أنت الرب وأنت العبد وأنت الخالق وأنت المخلوق، كما قال ابن عربي[1]:

الرب حق والعبد حق ... يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف

(١) الفتوحات المكية (١/ ٢).

فلا رب ولا عبد، ما ثمَّ إلا واحد، فالرب هو العبد والعبد هو الرب، والخالق هو المخلوق والمخلوق هو الخالق، وهذا حقيقة قول فرعون.

○ قوله: **(إذ هو)** أي: فرعون **(الذي أنكر العلو وكذب موسى فيه وأنكر تكليم الله لموسى)** ففرعون أنكر علو الله على خلقه وكذب موسى عليه السلام حينما أخبره موسى عليه السلام بأن الله في السماء، فقال لوزيره هامان حتى يكذِّبَ موسى رحمه الله بأن الله في العلو: ﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا﴾ لماذا؟ ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] فقد فهم فرعون من موسى عليه السلام أن الله في السماء، ولهذا أراد أن يكذبه فأمر وزيره هامان أن يبني له صرحا، ولو لم يخبره موسى بأن الله في العلو ما تكلَّف ذلك، ولو لم يكن موسى عليه السلام أخبره لم يكن هناك حاجة إلى أن يتكلف بالصعود إلى فوق، ولكان صعوده إلى فوق مثل نزوله إلى الآبار، إذ لا فرق بينهما.

لأن بعض الناس يقولون: إن موسى ما أثبت علو الله، فيرد عليهم المؤلف رحمه الله بأنه لو كان موسى ما أثبت العلو لصار في هذا مثل فرعون، فكلهم لم يثبتوا علوَّ الرب، فما الفائدة من قول فرعون لهامان: ﴿ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦﴾ ولكان ذلك تكلفا، فما دام أن موسى عليه السلام أخبره بأنه لا إله فوق، إذن فلا داعي إلى أن يجعل صرحا، لأنه إنما جعل الصرح ليكذب موسى عليه السلام؛ فظهر أن موسى عليه السلام قد أخبره بأن إلهه فوق، فقام فرعون بأمر هامان ببناء الصرح ليكذب موسى، فموسى عليه السلام لا يثبت العلو ـ في زعمهم ـ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ونبينا ﷺ لما عرج به ليلة الإسراء وجد في السماء الأولى آدم عليه السلام وفي الثانية يحيى وعيسى ثم في الثالثة يوسف ثم في الرابعة إدريس ثم في الخامسة هارون ثم وجد موسى وإبراهيم، فلما عرج به وجد في السماء الأولى آدم، وفي الثانية يحيى وعيسى، وفي الثالثة يوسف، وفي الرابعة إدريس والخامسة هارون في السادسة موسى وفي السابعة إبراهيم على ما هو معروف في الحديث طويل، ثم عرج إلى ربه، ففرض عليه خمسين صلاة ثم رجع إلى موسى، فقال له: (ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك قال: فرجعت إلى ربي فسألته التخفيف لأمتي)[1] وذكر أنه رجع إلى موسى ثم رجع إلى ربه مرارا، فصدق موسى في أن ربه فوق السموات وفرعون كذب موسى في ذلك.

الشَّرْح

○ قوله: (ونبينا ﷺ لما عرج به ليلة الإسراء) هذا هو الصواب **أن الإسراء والمعراج في ليلة واحدة.**

والإسراء هو: السفر من مكة إلى بيت المقدس بصحبة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على البراق.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (٣٤٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، رقم(١٦٣) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والبراق: دابة فوق الحمار ودون البغل، بيضاء لها بريق ولمعان، خَطْوُها مدُّ البصر ـ فقطع المسافة من مكة إلى بيت المقدس مثل سرعة الطائرة تقريبا ـ.

والمعراج: كهيئة السُّلَّم، وهو من بيت المقدس إلى السماء.

ومن كذَّب إسراء النبي ﷺ فقد كفر؛ لأنه كذب الله في قوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

ـ **وهناك بعض الملاحدة ينكرون المعراج**، يقولون بعدم إمكانه عقلا، لأن الجسم الثقيل كيف يصعد طبقات السماء؟! فهذا من خواص الأجسام الخفيفة التي لها القدرة على الطيران، أما الأجسام الثقيلة كيف تصعد؟!

فيقال لهم: الملائكة أرواح، كيف هبطت؟!

المقصود: أن هؤلاء لا يُثبتون إلا ما دلت عليه عقولهم.

○ قوله: **(وذكر أنه رجع إلى موسى ثم رجع إلى ربه مرارا)**

يعني: أنه لما عرج به جبريل عليه السلام إلى ربه، ثم مر على موسى عليه السلام في السماء السادسة فسأله: ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت: «**فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً**» قال: فارجع إلى ربك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك ـ وفي لفظ لمسلم: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك ـ وإني والله قد جربت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فرجع إلى ربه فسأله التخفيف، ووضع عنه عشرا ـ وفي مسلم: خمسا ـ ثم رجع إلى موسى فسأله فأمره أن يسأل ربه التخفيف، وجعل التردد بين موسى وبين ربه حتى وصلت إلى خمس صلوات، فقال الله: «**هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ**

القَوْلُ لَدَيَّ».

○ قوله: (فصدق موسى في أن ربه فوق السموات) هذا الشاهد في إثبات العلو، أي: فصدَّق محمدٌ ﷺ موسى عليه السلام ـ الذي قال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ـ فإذا كان الله ليس في السماء ـ كما يقول المعطلة ـ فإلى أين يرجع محمد ﷺ وهو يتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه، فيصعد إلى فوق، ويعرج به جبريل عليه السلام، ويتجاوز به السبع الطباق.

○ قوله: (وفرعون كذب موسى في ذلك) فرعون كذب موسى عليه السلام لما أخبره أن الله في السماء، ومحمد ﷺ صدق موسى عليه السلام، فصعد إلى فوق، **وهذا دليل على أن الله في العلو.**

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

والجهمية النفاة موافقون لآل فرعون أئمة الضلال، و أهل السنة والإثبات موافقون لآل إبراهيم أئمة الهدى. وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء: ٧٢] ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٣] وموسى ومحمد من آل إبراهيم؛ بل هم سادات آل إبراهيم صلوات الله عليهم أجمعين.

الشَّرْح

○ قوله: **(والجهمية النفاة موافقون لآل فرعون أئمة الضلال...)** الجهمية الذي ينفون الأسماء والصفات، يوافقون فرعون الذي أنكر الرب العظيم، وكذب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في أن الله فوق، ففرعون أنكر الرب وأنكر العلو، والجهمية يوافقونه، فأنكروا العلو وأنكروا الأسماء والصفات.

○ قوله: **(﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾)** أي: أئمة هدى، وفرعون وأتباعه أئمة ضلال.

○ قوله: **(وموسى ومحمد من آل إبراهيم)** أما محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو من سلالة إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك أن **إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **رزقه الله ابنين:**

الأول: إسماعيل، وأمه هاجر، وهو عليه السلام نبي، ومن سلالته نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الثاني: إسحاق، وأمه سارة ابنة عمه، وإسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ نبي رزقه

الله يعقوب النبي عليه السلام، ويعقوب هو إسرائيل، وجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب، ومنهم موسى عليه السلام، وأول أنبياء بني إسرائيل موسى عليه السلام، ثم تتابع الأنبياء على بني إسرائيل من بعده، كزكريا ويحيى وسليمان وداود حتى ختمهم الله بعيسى عليهم السلام.

فإذن أنبياء بني إسرائيل كلهم من سلالة إسحاق عليه السلام، وهم بنو إسرائيل، وإسماعيل من سلالته النبي عليه الصلاة والسلام.

وبما أن إسماعيل وإسحاق عليهما السلام أخوان، يكون اليهود والنصارى هم أبناء العم مع العرب؛ لأن أباهم: إسحاق عليه السلام، وأبو العرب: إسماعيل عليه السلام.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الوجه الثاني في تبيين وجوب الإقرار بالإثبات وعلو الله على السموات أن يقال: من المعلوم أن الله تعالى أكمل الدين وأتم النعمة؛ وأن الله أنزل الكتاب تبيانا لكل شي؛ وأن معرفة ما يستحقه الله وما ينزه عنه هو من أجل أمور الدين وأعظم أصوله، وأن بيان هذا وتفصيله أولى من كل شيء، فكيف يجوز أن يكون هذا الباب لم يبينه الرسول ﷺ ولم يفصله ولم يعلم أمته ما يقولون في هذا الباب، وكيف يكون الدين قد كمل وقد تركوا على الطريقة البيضاء. وهم لا يدرون بماذا يعرفون ربهم: أبما تقوله النفاة أو بأقوال أهل الإثبات.

الشَّرح

○ قوله: **(الوجه الثاني في تبيين وجوب الإقرار بالإثبات وعلو الله على السموات)** وهو دليل عقلي.

○ قوله: **(من المعلوم أن الله تعالى أكمل الدين وأتم النعمة)** كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المَائدة: ٣].

○ قوله: **(وأن الله أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء)** كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النّحل: ٨٩].

○ قوله: **(وأن معرفة ما يستحقه الله وما يُنزَّه عنه هو من أجل أمور الدين...)** فإذا كان الدين قد أكمله الله لنا، والنعمة قد أتمها علينا، وأنزل القرآن فيه تبيان لكل شيء، فمن المستحيل أن يكون

أجلُّ أمور الدين وأعظمها، وهو بيان ما يستحقه الله من الأسماء والصفات وبيان ما يُنزَّه عنه قد أُهمل ولم يبيَّن.

○ قوله: **(وأن بيان هذا وتفصيله أولى من كل شيء)** بيان هذا الأمر وهو ما يستحقه الله من الأسماء والصفات وما ينزه عنه من النقائص والعيوب من أجلِّ أمور الدين وأعظم أصوله، وبيانه أولى من بيان أي شيء آخر، فكيف يبين النبي ﷺ للناس أحكام الاستنجاء والاستجمار، ويترك بيان أجل أمور الدين وأعظمها لهم، هذا من المستحيل أن يبين لنا الأمور اليسيرة ويترك تبيين الأمور الجليلة!

○ قوله: **(وكيف يكون الدين قد كمل وقد تركوا...)** قد ترك الرسول ﷺ أمته على البيضاء فقال: «**قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»[1].

○ قوله: **(وهم لا يدرون بماذا يعرفون ربهم: أبما تقوله النفاة أو بأقوال أهل الإثبات)** من المستحيل أن يكون الدين قد كمل، والرسول ﷺ قد بين كل شيء لأمته، وتركها على البيضاء، والناس لا يدرون بماذا يعرفون ربهم، هل هو بقول أهل الإثبات أو بقول النفاة؟

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، رقم (٤٣)، وأحمد في المسند (٢٨/ ٣٦٧)، رقم(١٧١٤٢)، واللفظ له، والحاكم في المستدك، رقم (٣٣١)، وسكت عنه الذهبي، وابن أبي عاصم في السنة (٣٣، ٤٨، ٤٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٦١٩)، كلهم من طريق العرباض بن سارية رضي الله عنه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الوجه الثالث أن يقال: كل من فيه أدنى محبة للعلم أو أدنى محبة للعبادة، لابد أن يخطر بقلبه هذا الباب، ويقصد فيه الحق ومعرفة الخطأ من الصواب، فلا يتصور أن يكون الصحابة والتابعون كلهم كانوا معرضين عن هذا لا يسألون عنه ولا يشتاقون إلى معرفته ولا تطلب قلوبهم الحق فيه.

وهم ليلا ونهارا يتوجهون بقلوبهم إليه سبحانه ويدعونه تضرعا وخيفة ورغبا ورهبا، والقلوب مجبولة مفطورة على طلب العلم بهذا ومعرفة الحق فيه، وهي مشتاقة إليه أكثر من شوقها إلى كثير من الأمور، ومع الإرادة الجازمة والقدرة يجب حصول المراد، وهم قادرون على سؤال الرسول ﷺ وسؤال بعضهم بعضا، وقد سألوه عما هو دون هذا؛ سألوا: أنرى ربنا يوم القيامة؟ فأجابهم[(١)]، وسأله أبو رزين: أيضحك ربنا؟ فقال: «نعم» فقال: «لن نعدم من رب يضحك خيرا»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٥٤)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٦٣٣). من حديث جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨١)، وأحمد في المسند (٢٦/١٠٦، ١١٨، ١٢٣)، وفي السنة ج (١/٢٤٦)، وابن أبي عاصم في السنة ج (١/٢٤٤). قال في مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (١/٢٦): هَذَا إِسْنَاد فِيهِ مقَال، وَكِيع ذكره ابْن حبَان فِي الثِّقَات وَذكره الذَّهَبِيّ فِي الْمِيزَان وَبَاقِي رجال الْإِسْنَاد احْتج بهم مُسلم.

ثم إنهم لما سألوه عن الرؤية قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر»[١]، فشبه الرؤية بالرؤية؛ لا المرئي بالمرئي. والنفاة لا يقولون يرى كما ترى الشمس والقمر؛ بل قولهم الحقيقي أنه لا يرى بحال.

الشَّرْح

○ قوله: **(الوجه الثالث أن يقال: كل من فيه أدنى محبة للعلم...)** وهذا معلوم، فكل من فيه أدنى محبة للعلم أو أدنى محبة للعبادة لابد أن يخطر بقلبه التطلع إلى معرفة هذا الباب ـ أي: باب الأسماء والصفات ـ ومعرفة الحق والصواب فيه، فلا بد أن يخطر على قلب كل أحد معرفة ربه، وأن يتساءل: هل ربنا متصف بالصفات؟ وما هي الصفات التي اتصف بها؟ وما هي الأسماء التي تَسَمَّى بها؟ وما هي أفعاله؟

○ قوله: **(فلا يتصور أن يكون الصحابة والتابعون كلهم كانوا معرضين)** إذا كان الصحابة في سائر أحوالهم بالليل والنهار يتوجهون بقلوبهم إلى الله ويدعونه تضرعا وخيفة ورغبا ورهبا، لا يُتصوَّر أن يُعرِض جميعُهم عن الشوق إلى معرفة هذا الأمر العظيم والسؤال عنه، فلا يسألون الرسول ﷺ عن ربهم وعن ما يتصف به من الصفات الكمال، ونعوت الجلال.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) رقم (٤٥٨١، ٧٤٣٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، رقم (١٨٣)، واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
وقد سبق تخريج حديث جرير بن عبدالله في هذا المعنى.

○ قوله: (والقلوب مجبولة مفطورة على طلب العلم...) القلوب مجبولة ومفطورة على طلب العلم بمعرفة هذا الباب، فكل أحد يشتاق إلى أن يعرف ما هي صفات الله.

○ قوله: (ومع الإرادة الجازمة والقدرة يجب حصول المراد) فإذا عزم الإنسان أن يفعل شيئاً، وأراد تحقَّقَ مراده؛ فإنه **لابد أن يتحقق فيه أمران**:

الأول: أن يكون عنده إرادة.

الثاني: أن يكون عنده قدرة.

فإن تخلف حصول المراد:

فإما أن تكون الإرادة ضعيفة، أو يكون عاجز غير قادر على الوصول إلى المراد.

فكذلك الصحابة رضوان الله عليهم: كان عندهم إرادة جازمة للوصول إلى معرفة ما يتصف به الرب من الأسماء والصفات، وعندهم قدرة على سؤال النبي ﷺ عن ذلك، فلا يمكن أن يمضي عصر الصحابة ويتوفى اللهُ نبيَّه ﷺ، والصحابة لا يعلمون أين ربهم، ولا هل هو متصف بصفات، أو هل قول النفاة هو الحق، أو قول المثبتين هو الحق!

هذا غير ممكن، والحال أنهم قادرون على سؤال الرسول ﷺ فهم لم يسكتوا عن السؤال حتى يتوفى الله نبيَّه ﷺ، (وقد سألوه عما هو دون هذا) فقد سألوه عن أشياء كثيرة دون هذا، فكيف لا يسألونه عن أهم الأمور وأعظمها؛ ألا وهو معرفة ما يتصف به الرب من الأسماء والصفات.

○ قوله: (سألوا: أنرى ربنا يوم القيامة) كما جاء في الصحيحين وغيرهما، أنهم سألوا الرسول ﷺ: هل نرى ربنا؟ قال: «**نعم كما ترون القمر ليلة البدر**»[(١)]. وقال في حديث جرير: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[(٢)]، فأجابهم عن سؤالهم. وفي لفظ: «**هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ليس معها سحاب**»[(٣)].

المعنى أننا نرى ربنا يوم القيامة كما نرى الشمس والقمر من فوقنا، **والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية** ـ أي: أنا نرى ربنا رؤيةً واضحةً، كما نرى القمر والشمس من فوقنا رؤيةً واضحةً ـ **وليس المراد تشبيه المرئي بالمرئي** ـ أي: تشبيه الله بالشمس والقمر ـ فالله ﷻ لا يُشبَّه بأحد من خلقه.

○ قوله: (بل قولهم الحقيقي أنه لا يرى بحال) وهذا هو قول المعتزلة والجهمية.

(١) أخرجه الشيخان، وسبق تخريجه من حديث أبي سعيد، ومن حديث جرير بن عبدالله وقد سبق تخريجه إلا أنه ليس فيه السؤال، وإنما هو ابتدأهم ﷺ عند رؤيتهم القمر ليلة البدر.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن قال يُرى موافقة لأهل الإثبات ومنافقة لهم: فسر الرؤية بمزيد علم فلا تكون كرؤية الشمس والقمر. والمقصود هنا: أنهم لا بد أن يسألوه عن ربهم الذي يعبدونه، وإذا سألوه فلابد أن يجيبهم. ومن المعلوم بالاضطرار أن ما يقوله الجهمية النفاة لم ينقل عن أحد من أهل التبليغ عنه، وإنما نقلوا عنه ما يوافق قول أهل الإثبات.

الشَّرْح

○ قوله: **(ومن قال يرى موافقة لأهل الإثبات ومنافقة لهم: فسر الرؤية بمزيد علم فلا تكون كرؤية الشمس والقمر)** المعتزلة فسروا الرؤية بمزيد العلم؛ فقالوا عن معنى قوله ﷺ: «**أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»[(١)] أي: تعلمون أن لكم رباً لا تشكُّون في ربوبيته كما تعلمون أن القمر قمراً. **والمعنى يفسد بهذا التفسير.**

والأشاعرة أثبتوا الرؤية ونفوا الجهة، فقالوا: يُرى لكن لا في جهة. **وأرادوا بذلك**: أن يضعوا يداً مع المعتزلة فنفوا الجهة، ويداً مع أهل السنة فأثبتوا الرؤية؛ فعَسُرَ عليهم ذلك فلجؤوا إلى حجج سفسطائية ـ وهي: التي تُوهم أنها حجة وهي ليست بحجة ـ فقالوا: يُرى لا في جهة!

---

(١) سبق تخريجه.

هل يرى من الأمام؟ قالوا: لا.

هل يرى من الخلف؟ قالوا: لا.

هل يرى من فوق؟ قالوا: لا.

هل يرى من تحت؟ قالوا: لا.

فيقال لهم: إذن أين يرى؟ فيقولون: لا في جهة.

وهذا قول باطل، فالرؤية لا بد أن تكون بجهة من الرائي.

فالمعتزلة: نفوا الرؤية والجهة، **والأشاعرة**: أثبتوا الرؤية ونفوا الجهة، **وأهل السنة**: أثبتوا الرؤية والجهة.

○ قوله: **(والمقصود هنا)** أي: خلاصة هذا الوجه، **(أنهم)** أي: الصحابة. **(لابد أن يسألوه عن ربهم الذي يعبدونه، وإذا سألوه فلا بد أن يجيبهم)** فمن المستحيل أن يمضي عصر الصحابة، ويتوفى الله نبيه ﷺ وهم لم يسألوه عن ربهم، وهو قادر إذا سألوه أن يجيبهم عن سؤالهم.

○ قوله: **(ومن المعلوم بالاضطرار أن ما يقوله الجهمية النفاة)** أي: مما هو معلوم ضرورياً أنَّ قول الجهمية لم يُنقل عن أحد من الصحابة المبلغين عن رسول الله ﷺ، وذلك أن الجهمية يقولون: إن الله ليس في العلو، وليس فوق العرش، بل هو في كل مكان، أو يسلبون عنه النقيضين فيقولون: لا دخل العالم، ولا خارجة ـ تعالى الله عما يقولون ـ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الوجه الرابع أن يقال: إما أن يكون الله يحب منا أن نعتقد قول النفاة، أو نعتقد قول أهل الإثبات، أو لا نعتقد واحدا منهما؛ فإن كان مطلوبه منا اعتقاد قول النفاة: وهو أنه لا داخل العالم ولا خارجه؛ وأنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إله وأن محمدا ﷺ لم يعرج به إلى الله، وإنما عرج به إلى السموات فقط، لا إلى الله، وأن الملائكة لا تعرج إلى الله؛ بل إلى ملكوته، وأن الله لا ينزل منه شيء ولا يصعد إليه شيء ...، وأمثال ذلك.

وإن كانوا يعبرون عن ذلك بعبارات مبتدعة فيها إجمال وإبهام، كقولهم: ليس بمتحيز، ولا جسم ولا جوهر، ولا هو في جهة ولا مكان؛ وأمثال هذه العبارات التي يفهم منها العامة تنزيه الرب تعالى عن النقائص، ومقصدهم بها: أنه ليس فوق السموات رب؛ ولا على العرش إله يعبد، ولا عرج بالرسول إلى الله.

الشَّرح

جعل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ القسمة ثلاثية:

فإما أن نعتقد أن الله يحب منا أن نعتقد قول النفاة، وأن الله لا يتصف بالصفات وأنه ليس فوق العرش.

وإما أن يحب منا أن نعتقد قول أهل الإثبات.

وإما أن يحب أن لا نعتقد واحداً منهما، فلا نعتقد قول النفاة ولا قول أهل الإثبات.

ـ ثم بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى بيان أن لهم عبارات مبتدَعة وألفاظ مجملة تحتمل الحق وتحتمل الباطل، فمن أطلقها استُفصل منه عن المعنى الذي يريد، **فإذا قال**: ليس بمتحيز، **قلنا له**: ما مرادك بأنه ليس متحيزا؟

إن كان مرادك أنه تحوزه المخلوقات وتحيط به؛ فهذا معنى باطل.

وإن كان مرادك بالمتحيز أنه منحاز عن المخلوقات ومنفصل عنها؛ فهذا حق.

كذلك إذا قال: إن الله جسم، **قلنا له**: ما مرادك بالجسم؟

إن كان مرادك أن الله متصف بصفات؛ فهذا حق.

وإن كان مرادك مشابهته لمخلوقاته؛ فهذا باطل.

وكذلك إذا نفى: الجهة، **قلنا له**: ما مرادك بالجهة؟

إن كان مرادك أن الله في جهة مخلوقة؛ فهذا باطل.

وإن كان مرادك أنه في جهة عدمية، فهذا حق، لأن المخلوقات سقفها عرش الرحمن، فما فوق العرش جهة عدمية والله فوق العرش.

فلابد أن يُستفسر منه عن المعنى الذي أراد من إطلاق هذه العبارة؛ فإن أراد حقاً قبل، وإن أراد باطلاً رد.

○ قوله: **(وأمثال هذه العبارات التي يفهم منها العامة تنزيه الرب...)** فمؤدى قول النفاة أنه ليس فوق السماوات ربٌّ، ولا على العرش ربٌّ، ولا عُرج بالرسول إلى الله، ومعلوم أن النصوص المتكاثرة دلَّت على أن الله يُحب منا أن نعتقد إثبات صفات الله تعالى.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود أنه إن كان الذي يحبه الله لنا أن نعتقد هذا النفي؛ فالصحابة والتابعون أفضل منا فقد كانوا يعتقدون هذا النفي، والرسول ﷺ كان يعتقده، وإذا كان الله ورسوله يرضاه لنا وهو إما واجب علينا أو مستحب لنا؛ فلا بد أن يأمرنا الرسول ﷺ بما هو واجب علينا ويندبنا إلى ما هو مستحب لنا ولا بد أن يظهر عنه وعن المؤمنين ما فيه إثبات لمحبوب الله ومرضيه وما يقرب إليه؛ لا سيما مع قوله عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المَائدة: ٣]، لاسيما والجهمية تجعل هذا أصل الدين، وهو عندهم "التوحيد"، الذي لا يخالفه إلا شقي.

فكيف لا يعلم الرسول ﷺ أمته التوحيد؟، وكيف لا يكون التوحيد معروفا عند الصحابة والتابعين؟! والمعتزلة والفلاسفة ومن اتبعهم يُسمَّون مذهب النفاة التوحيد، وقد سمى صاحب المرشدة أصحابه: الموحدين؛ إذ عندهم مذهب النفاة هو التوحيد، وإذا كان كذلك: كان من المعلوم أنه لا بد أن يبينه الرسول ﷺ، وقد علم بالاضطرار أن الرسول ﷺ وأصحابه لم يتكلموا بمذهب النفاة، فعلم أنه ليس بواجب ولا مستحب؛ بل علم أنه ليس من التوحيد الذي شرعه الله تعالى لعباده.

وإن كان يحب منا مذهب الإثبات؛ وهو الذي أمرنا به؛ فلا بد أيضا أن يبين ذلك لنا، ومعلوم أن في الكتاب والسنة من إثبات العلو

والصفات أعظم مما فيهما من إثبات الوضوء والتيمم والصيام وتحريم ذوات المحارم وخبيث المطاعم ونحو ذلك من الشرائع، فعلى قول أهل الإثبات يكون الدين كاملا والرسول ﷺ مبلغا مبينا؛ والتوحيد عند السلف مشهورا معروفا.

الشَّرْح

○ قوله: **(والمقصود أنه إن كان الذي يحبه الله لنا أن نعتقد هذا النفي...)** إذا كان الله يحب لنا أن نعتقد قول النفاة، والصحابة هم أفضل منا، والتابعون كانوا يعتقدون هذا النفي وأن الله ليس متصف بصفات، فكيف أن الرسول ﷺ لا يبيِّن أن عليهم اعتقاد أن الله ليس فوق العرش، واعتقاد أن الله ليس متصفا بصفات؟!

○ قوله: **(فلابد أن يأمرنا الرسول ﷺ بما هو واجب علينا)** أي: إذا كان الله ورسوله يرضاه لنا فهو إما واجب أو مستحب، فلا بد أن يأمر الرسول ﷺ بما هو واجب علينا وأن يحثَّنا ويندبَنا إلى ما هو مستحب، وهل قال الرسول ﷺ: لا تعتقدوا قول النفاة، ولا تثبتوا لله الأسماء ولا الصفات؟

■ **الجواب:** لم يقل ذلك.

فإذا كان محبوب الله ومايرضاه هو النفي كما يقول النفاة، فكيف يسكت الرسول ﷺ ولا يخبرنا عما يرضاه ويحبه لنا، والله تعالى أكمل الدين وأتم النعمة!

○ قوله: **(والجهمية تجعل هذا أصل الدين وهو عندهم "التوحيد" الذي لا يخالفه إلا شقي)** **الجهمية تجعل أصل الدين:** نفي الصفات عن الله ﷻ، فالتوحيدُ عندهم هو نفي الصفات،

والمعتزلة من أصولهم: التوحيد، **وستروا تحته**: نفي الصفات من نفى العلو ونفى كلام الله، والقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرى في الآخرة؛ فمن نفى الصفات هو موحد عندهم، ومن أثبت الصفات فهو مشرك مشبِّه.

○ قوله: **(فكيف لا يُعلم الرسول ﷺ أمته التوحيد)** أي: إذا كان التوحيد هو النفي كما يقوله هؤلاء، فكيف لم يُعْلم الرسولُ ﷺ أمتَه به، ولم يكن معروفاً عند أصحابه؟!

○ قوله: **(وقد سمى صاحب المرشدة أصحابه: الموحدين)** الفلاسفة والمعتزلة يُسمَّون أهل النفي: أهل التوحيد، **وصاحب المرشدة هو**: محمد بن تومرت[1] سمى أصحابه النفاة بالموحدين؛ لأن التوحيد عندهم: أن تنفي صفات الرب ﷻ.

○ قوله: **(وإذا كان كذلك)** **أي**: إذا كان مذهب النفاة هو الصواب **(كان من المعلوم أنه لا بد أن يبينه الرسول ﷺ)** فيقول: اعتقدوا قول النفاة، ولم يكن ذلك.

○ قوله: **(وقد علم بالاضطرار...)** **العلم نوعان**: علم ضروري، وعلم نظري.

---

(١) محمد بن تومرت، رجل كذاب ظالم، تكلم عنه المؤلف وذكر شيئا من أحواله، كما في الفتاوى: (١١/٤٧٦-٤٩١)، وقال ابن القيم في المنار المنيف (١٥٣): أما مهديُّ المغاربة محمد بن تومرت فإنه رجل كذاب ظالم متغلب بالباطل ملك بالظلم والتغلب والتحيل فقتل النفوس وأباح حريم المسلمين وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم وكان شرا على الملة من الحجاج بن يوسف بكثير ... وسُمي أصحابه الجهمية الموحدين نفاة صفات الرب وكلامه وعلوه على خلقه واستوائه على عرشه ورؤية المؤمنين له بالأبصار يوم القيامة واستباح قتل من خالفهم من أهل العلم والإيمان وتَسمى: بالمهدي المعصوم.

فالعلم الضروري، هو: الذي يضطر الإنسان إلى إثباته، ولا يستطيع إنكاره، **مثل**: العلم الحاصل بأحد الحواس الخمس، والعلم بأن الشمس طالعة في النهار، والعلم بأن الواحد نصف الاثنين.

والعلم النظري، هو: الذي يحتاج إلى تأمل ونظر، **كما لو قيل**: كم سدس مائة وسبعة وأربعين؟

فهذا يحتاج إلى تأمل ونظر حتى تخرج هذه النتيجة.

فالمؤلف يبيِّن أن مما علم بالاضطرار: كون الرسول ﷺ وأصحابه لم يتكلموا بمذهب النفاة أبداً، ولم ينفوا الصفات عن الله ﷻ.

○ قوله: **(فعلم أنه ليس بواجب ولا مستحب...)** أي: عُلم أن القول بنفي الصفاة ليس بواجب ولا مستحب كما يقول النفاة، وهو القول الأول من التقسيم الذي ذكره المؤلف رحمه الله.

○ قوله: **(وإن كان يحب منا مذهب الإثبات...)** هذا هو القول الثاني، وهو قول أهل إثبات الأسماء والصفات لله.

○ قوله: **(ومعلوم أن في الكتاب والسنة من إثبات العلو والصفات أعظم مما فيهما من إثبات الوضوء و...)** أي: إن إثبات الصفات ـ ومنها: العلو لله تعالى: معلوم بالضرورة من دين الإسلام، وقد سبق أن الأدلة التي تُثبت علوَّ لله على خلقه أفرادُها تزيد على ألف دليل، وهذا في إثبات العلو وحده، فكيف بنصوص الصفات مجتمعة؟!

والمؤلف رحمه الله ـ تأكيدا لهذا ـ بيَّن أنه معلوم في الكتاب والسنة أن النصوص التي تثبت العلو وتثبت الصفات؛ أكثر وأعظم من النصوص التي تثبت الوضوء والتيمم والصيام، وتحرم ذوات المحارم، وتثبت المحرمات الخبيثة، ونحو ذلك من الشرائع.

فعلى قول أهل الإثبات يكون: الدين كاملا، والرسول ﷺ مبلغا، والتوحيد مشهورا.

وعلى قول النفاة يكون: الدين غير كامل، والرسول ﷺ لم يبلغ البلاغ المبين؛ لأنه لم يبيِّن ـ كما يقولون ـ هل الرب متصف بالصفات أم لا؟!

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

والكتاب والسنة يصدق بعضه بعضا؛ والسلف خير هذه الأمة وطريقهم أفضل الطرق، والقرآن كله حق ليس فيه إضلال، ولا دل على كفر ومحال؛ بل هو الشفاء والهدى والنور.

وهذه كلها لوازم ملتزمة ونتائج مقبولة؛ فقولهم مؤتلف غير مختلف، ومقبول غير مردود، وإن كان الذي يحبه الله تعالى منا أن لا نثبت ولا ننفي؛ بل نبقى في الجهل البسيط، وفي ظلمات بعضها فوق بعض لا نعرف الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال ولا الصدق من الكذب؛ بل نقف بين المثبتة والنفاة موقف الشاكين الحيارى ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٣]، لا مصدقين ولا مكذبين. لزم من ذلك أن يكون الله يحب منا عدم العلم بما جاء به الرسول ﷺ، وعدم العلم بما يستحقه الله من الصفات التامات وعدم العلم بالحق من الباطل ويحب منا الحيرة والشك، ومن المعلوم أن الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا الضلال؛ وإنما يحب الدين والعلم واليقين.

وقد ذم الحيرة بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنعام: ٧١]، ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام: ٧٢].

وقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٦-٧]، وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يصلي يقول: «اللهمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[1] فهو ﷺ يسأل ربه أن يهديه لما اختلف فيه من الحق، فكيف يكون محبوب الله عدم الهدى في مسائل الخلاف؟ وقد قال الله تعالى له: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ۝١١٤﴾ [طه: ١١٤].

الشَّرْح

○ قوله: (والكتاب والسنة يصدق بعضه بعضا...) وهذه كلها لوازم ونتائج تدل على ثبوت صفات الله ﷻ وعلوه على خلقه، واستواءه على عرشه سبحانه.

○ قوله: (فقولهم) يعني: قول السلف (مؤتلف غير مختلف، ومقبول غير مردود) أما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة فيقولون: إن ظاهر النصوص يدل على الكفر، فلابد أن ننزِّه كلامَ الله، وكلامَ رسوله عن: الكفر، وذلك بأن نؤوِّل كلام الله وكلام رسوله، فنقول: إن معنى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعرَاف: ٥٤]: استولى.

ومعنى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ [المَائدة: ١١٩]: أثابهم.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، رقم (٧٧٠). عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

قالوا: لو قلنا: إن الله يرضى فقد شبهناه بالمخلوق فهو أيضا يرضى، وهذا كفر؛ **ولو قلنا**: إن الله استوى والمخلوق استوى فهذا تشبيه.

فنقول لهم: من قال إن ذلك مشابهة للمخلوق؟

بل إن الله استوى استواء يليق بجلاله وعظمته، لا كاستواء المخلوق، ويرضى لا كرضا المخلوق.

○ قوله: **(وإن كان الذي يحبه الله تعالى منا أن لا نثبت ولا ننفي)** هذا هو: **الأمر الثالث من القسمة الثلاثية** التي ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

○ قوله: **(بل نبقى في الجهل البسيط)** **الجهل نوعان**: جهل بسيط، وجهل مركب.

فالجهل البسيط، هو: عدم العلم بالشيء.

والجهل المركب، هو: أن تعلم الشيء على غير وجهه، أي: أن تعتقد شيئا مغلوطا، فهو لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري.

○ قوله: **(لزم من ذلك أن يكون الله يحب منا عدم العلم...)** أي: **أن الأمر الثالث** ـ وهو: أن الله يحب منا أن لا نثبت ولا ننفي، فنبقى حيارى لا ندري هل لله صفات أم ليس له صفات، هل هو في العلو، أو ليس في العلو، إذن نبقى في ظلمات لا نعرف الحق من الباطل، ولا نعرف الهدى من الضلال، ولا نعرف الصدق من الكذب، فنقف شاكين مذبذبين لا مصدقين ولا مكذبين ـ **يلزم منه**:

أن الله يحب منا عدم العلم بما جاء به الرسول ﷺ، وعدم العلم بما يستحقه سبحانه من الصفات التامات، وعدم العلم بالحق من الباطل، وأن الله يحب منا الحيرة والشك!

وهذا من أبطل الباطل؛ لأنه خلاف ما دلت عليه النصوص التي ساق بعضها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ من ذم الحيرة والشك، وطلب الهداية.

○ قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَة: ٦] هذا دعاء، فأنت تدعو الله أن يهديك إلى الصراط المستقيم، **والصراط المستقيم**: علم وعمل.

○ قول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **(كان إذا قام من الليل يصلي يقول)** أي في دعاء الاستفتاح من الليل، كما جاء مصرحا به في الرواية عند الإمام مسلم.

○ قوله: **(فهو ﷺ يسأل ربه)** يذكر المؤلف الآن وجه الدلالة من الحديث: **(أن يهديه لما اختلف فيه من الحق)** وهذا سؤالٌ للعلم، فيسأل الله أن يهديه وأن يُعلِّمه، فلو كان العلم وعدم العلم يستويان لَمَا دعا ﷺ بهذا الدعاء وأمثاله.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وما يذكره بعض الناس عنه ﷺ من أنه قال: (زدني فيك تحيرا) كذب باتفاق أهل العلم بحديثه ﷺ، بل هذا سؤال من هو حائر وقد سأل المزيد من الحيرة ولا يجوز لأحد أن يدعو بمزيد الحيرة إذا كان حائرا؛ بل يسأل الهدى والعلم؛ فكيف بمن هو هادي الخلق من الضلالة؟ وإنما ينقل مثل هذا عن بعض الذين لا يقتدى بهم في مثل هذا إن صح النقل عنه.

وقول هؤلاء الواقفة الذين لا يثبتون ولا ينفون وينكرون الجزم بأحد القولين، يلزم عليه أمور:

أحدها أن من قال هذا: فعليه أن ينكر على النفاة؛ فإنهم ابتدعوا ألفاظا ومعاني لا أصل لها في الكتاب ولا السنة وأما المثبتة إذا اقتصروا على النصوص: فليس له الإنكار عليهم وهؤلاء الواقفة هم في الباطن يوافقون النفاة أو يقرونهم وإنما يعارضون المثبتة، فعلم أنهم أقروا أهل البدعة وعادوا أهل السنة.

الشَّرْح

○ قوله: (وما يذكره بعض الناس عنه من أنه قال: (زدني فيك تحيرا)...) **هذا الحديث باطلٌ سنداً ومتناً؛**

أما سنداً؛ فلأنه لم يرو في شيء من دواوين السنة.

وأما متنا؛ فلأن معناه باطل يخالف النصوص التي فيها سؤال

الله العلم والهداية[١].

○ قوله: **(وإنما ينقل مثل هذا الحديث عن بعض الذين لا يقتدى بهم في مثل هذا)** هذا الحديث الباطل؛ وإنما هو نقل عن بعض من ليس في موضع القدوة؛ لمخالفته الأدلة، هذا إن صح النقل عنه، ولا يصح النقل.

○ قوله: **(فإنهم ابتدعوا ألفاظا ومعاني لا أصل لها في الكتاب ولا السنة)** **إذن**: يجب على قول الواقفة أن ينكروا على النفاة؛ حيث أنهم ابتدعوا ألفاظاً ومعاني لا أصل لها في الكتاب ولا في السنة، وإن كان هؤلاء الواقفة يوافقون النفاة في الباطن أو يُقرّونهم، **فحقيقة الأمر أن قولهم يؤول إلى**: النفي لمن تدبره، وإنما يعارضون أهل الإثبات، فعُلم أنهم أقروا أهل البدعة وعادوا أهل السنة.

وهذا يدل على: بطلان مذهبهم، وهو القول بأن الله تعالى يحب منا أن لا نثبت ولا ننفي؛ بل نتوقف، لإنا نقول: هذا باطل؛ إذ لو كانوا صادقين لأنكروا على النفاة؛ لأنهم ابتدعوا ألفاظاً ومعاني لا أصل لها، ولأقروا أهل الإثبات؛ لأنهم اقتصروا على النصوص.

(١) وقد قال عنه شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٢٢٥): (من الأحاديث المكذوبة، ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث، وإنما يرويه جاهل أو ملحد فإن هذا الكلام يقتضي انه كان حائراً أو أنه سأل الزيادة في الحيرة وكلاهما باطل) ا.هـ.
وانظر: الفتاوى الكبرى (١/ ٣٣٧-٣٤٣)، ومجموع الفتاوى: (٢/ ٢٠٢)، (٥/ ١٧٩)، (١١/ ٣٨٤).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

الثاني أن يقال: عدم العلم بمعاني القرآن والحديث ليس مما يحبه الله ورسوله فهذا القول باطل.

الثالث أن يقال: الشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق المسلمين، غاية ما في الباب أن من لم يكن عنده علم بالنفي ولا الإثبات يسكت.

فأما من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسوله فليس للواقف الشاك الحائر أن ينكر على هذا العالم الجازم المستبصر، المتبع للرسول العالم بالمعقول والمنقول

الشَّرْحُ

○ قوله: **(الثاني أن يقال: عدم العلم بمعاني القرآن والحديث ليس مما يحبه الله ورسوله فهذا القول باطل)** **هذا الأمر الثاني من اللوازم التي تلزم قول الواقفة** ـ الذين يتوقفون فيقولون: لا نثبت ولا ننفي ـ **وملخصه**: أن عدم العلم بمعاني النصوص ليس مما يحبه ورسوله، **فنقول لهم**:

أنتم الآن رضيتم وحكمتم على أنفسكم بالجهل، وأنكم لا تعلمون معاني القرآن والسنة، وهذا ليس مما يحبه الله ورسوله، بل الله ﷻ يحب من عباده أن يعلموا معاني القرآن، كما قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾

[النِّسَاء: ٨٢]، وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [صٓ: ٢٩]. فالله جل وعلا يريد منا أن نعلم معاني كتابه، وهؤلاء الواقفة بقوا في الشك والحيرة، وليس عندهم علم؛ فعلم أن مذهبهم لا يحبه الله ورسوله.

○ قوله: **(الثالث أن يقال: الشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق المسلمين) الأمر الثالث مما يلزم الواقفة، أن يقال:** إنهم رضوا لأنفسهم بالشك والحيرة، **والشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق المسلمين**، فمن كان عنده شك وحيرة فإنه لا يحمد على ذلك، فالشاك المتردد الحائر لا يمدح لا عقلاً ولا شرعاً، **إنما الذي يحمد من كان عنده علم وفهم**، فيُمْدَحُ العالم المستبصر.

وغاية ما في هذا الأمر: أن من لم يكن عنده علم بالنفي ولا بالإثبات فيلزمه السكوت؛ لكن من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسوله ﷺ؛ فهذا على بصيرة، وليس للواقف الحائر الشاك أن ينكر عليه، فالشاك الحائر المتردد لا ينكر على العالم المستبصر، الذي يعرف الحق بدليله، الذي يعلم المعقول والمنقول ويتّبع ما جاء به الرسول ﷺ.

إذن: أهل الشك وأهل الحيرة ليس لهم أن ينكروا على أهل العلم والبصيرة الذين أثبتوا الصفات بدلائلها من الكتاب والسنة؛ لأن أهل الشك والحيرة غاية ما هنالك أنهم جهال لا يعلمون، والجاهل لا ينكر على العالم؛ بل عليه أن يعرف قدر نفسه فيسكة.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الرابع أن يقال: السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة، وقالوا بالإثبات وأفصحوا به، وكلامهم في الإثبات والإنكار على النفاة أكثر من أن يمكن إثباته في هذا المكان وكلام الأئمة المشاهير: مثل مالك، والثوري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وعبدالرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجراح، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأبي عُبيد، وأئمة أصحاب مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد = موجود كثير لا يحصيه أحد.

الشَّرْحُ

○ قوله: (**الرابع أن يقال:** السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة) **الأمر الرابع مما يلزم الواقفة أن يقال لهم**: إن السلف كلهم أنكروا على الجهمية النفاة، ونصوصهم كثيرة في ذلك.

والجهمية هم: أتباع الجهم بن صفوان، **وقد اشتهر الجهم بأربعة عقائد خبيثة**:

الأولى: عقيدة نفي الأسماء والصفات.

الثانية: عقيدة الجبر، وهو القول: بأن العبد مجبور على أفعاله، وأفعاله كلها اضطرارية وليس له اختيار.

الثالثة: عقيدة الإرجاء، وهو القول: بأن الأعمال ليست من الإيمان.

الرابعة: القول بفناء الجنة والنار.

فالسلف أنكروا على الجهمية النفاة نفيَهم للأسماء والصفات، ولم يسكتوا بل تكلموا بالإثبات، وهذا يبطل قولهم، وسُموا نفاة: لأنهم نفوا الأسماء والصفات عن الله ﷻ.

فالسلف قالوا بإثبات الأسماء والصفات لله ﷻ **(وأفصحوا به)** أي: بينوه ووضحوه، **(وكلامهم في الإنكار على النفاة للأسماء والصفات أكثر من أن يمكن إثباته في هذا المكان)**.

وقد مثل المؤلف رحمه الله للأئمة الذين أنكروا على الجهمية نفيهم للأسماء والصفات، وهؤلاء الأئمة أئمة هدى، وقد عُرفوا بالعدالة والعلم والعمل بالكتاب والسنة، فهم أئمة الدين يقتدى بهم.

وكون كلامهم في إثبات الأسماء والصفات بهذه الكثرة، هو في حد ذاته دليل على بطلان قول الواقفة الذين يتوقفون، فلا يثبتون الأسماء والصفات ولا ينفونها.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وجواب مالك في ذلك صريح في الإثبات فإن السائل قال له: يا أبا عبدالله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فقال مالك: (الاستواء معلوم والكيف مجهول ـ وفي لفظ: استواؤه معلوم أو معقول، والكيف غير معقول ـ والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة)[١] فقد أخبر رضي الله عنه بأن نفس الاستواء معلوم، وأن كيفية الاستواء مجهولة، وهذا بعينه قول أهل الإثبات، وأما النفاة فما يثبتون استواء حتى تجهل كيفيته.

بل عند هذا القائل الشاك وأمثاله أن الاستواء مجهول غير معلوم، وإذا كان الاستواء مجهولا لم يحتج أن يقال: الكيف مجهول، لا سيما إذا كان الاستواء منتفيا، فالمنفي المعدوم لا كيفية له حتى يقال: هي مجهولة أو معلومة.

وكلام مالك صريح في إثبات الاستواء وأنه معلوم وأن له كيفية؛ لكن تلك الكيفية مجهولة لنا لا نعلمها نحن، ولهذا بدع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية، فإن السؤال إنما يكون عن أمر

(١) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (ص: ٦٦-٦٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥-٣٢٦)، واللالكائي في السنة (٣/ ٣٩٨)، وجوّد إسناده الحافظ في الفتح (١٣/ ٤٠٦-٤٠٧)، وقال الذهبي في العلو: (ص: ١٣٩): هذا ثابت عن مالك. وقال ابن حجر في الفتح: (١٣/ ٤١٧): إسناده جيد.

معلوم لنا ونحن لا نعلم كيفية استوائه، وليس كل ما كان معلوما وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا.

الشَّرح

○ قوله: (وجواب مالك في ذلك صريح في الإثبات) **أي**: في إثبات استواء الله على عرشه، والاستواء علو خاص على العرش، **وله أربعة معان في اللغة العربية، وعليها تدور تفاسير السلف للاستواء، وهي**:

استقر، وعلا، وصَعِدَ، وارتفع، فهذه معاني الاستواء الأربعة، فالله تعالى مستو على عرشه حقيقة بهذه المعاني الأربعة على كيفيةٍ اللهُ أعلم بها، فكيفية الاستواء مجهولة لنا، لكن معناه في اللغة معروف، وهذا معنى قول الإمام مالك: (الاستواء معلوم) أي: معلوم معناه في اللغة العربية، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هُود: ٤٤] يعني: استقرت سفينة نوح عليه السلام على جبل الجودي.

○ قوله: (والكيف مجهول) أي: كيفيته مجهولة لا يعلمها إلا الله، وهكذا يقال في سائر صفاته سبحانه، فلا يعلم كيفية الصفات إلا هو، كما لا يعلم حدود ذاته إلا هو سبحانه وتعالى.

والله عز وجل قد استوى على العرش وهو غير محتاج إليه، وهو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته؛ استواءً لايعلم كيفيته إلا هو سبحانه، أما استواء المخلوق فكيفيته معلومة، ولهذا المشبِّهة ـ الذين شبهوا الله بخلقه ـ يقولون: إن الله مستو كاستواء المخلوق، وله علم كعلم المخلوق، وسمع كسمعه، وبصر كبصره.

وغالب المشبهة من غلاة الشيعة البيانية ـ الذين يُنسبون إلى بيان بن سمعان التميمي ـ **والسالمية** ـ أتباع هشام بن سالم الجواليقي ـ يقول أحدهم: لله استواء كاستواء الإنسان على الدابة، فلو سقطت الدابة لسقط المستوي عليها، وقياس ذلك: لو سقط العرش لسقط الرب ـ تعالى الله عما يقولون ـ وهؤلاء كفرة؛ ولهذا قال نعيم بن حماد: (**من شبه الله بخلقه كفر، ومن نفى ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله من ذلك تشبيه**)[(١)].

○ قوله: **(والإيمان به واجب)** وذلك لأن الله أخبر به عن نفسه، فيجب اعتقاده والتصديق به.

○ قوله: **(والسؤال عنه)** أي: عن الكيفية **(بدعة)**.

وهذه المقالة من الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، تلقاها العلماء عنه بالقبول، وصارت حجة لأهل السنة والجماعة في هذا الباب، قال شيخ الإسلام: (وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة وأشدّه استيعاباً؛ لأنَّ فيه نبذ التكييف وإثبات الاستواء المعقول، وقد ائتمَّ أهل العلم بقوله واستجادوه واستحسنوه)[(٢)]، وقال أيضاً: (وقد تلقى الناس هذا الكلام بالقبول، فليس في أهل السنة من ينكره)[(٣)].

ـ وهذا الجواب يقال في جميع الصفات؛ فإذا قيل لك: كيف

---

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ص ٥٨٧)، وتاريخ دمشق (٦٢/ ١٦٣)، والعلو (٢/ ١٠٩٣) وقال الألباني في مختصر العلو: (ص١٨٤): وهذا إسنادٌ صحيحٌ. أ.هـ.

(٢) مجموع الفتاوى: (١٣/ ٣٠٩).

(٣) المرجع السابق: (٥/ ٣٦٥).

ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا؟

فتقول ـ كما قال الإمام مالك ـ: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وإذا قيل لك: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المَائدة: ١١٩]؛ كيف يرضى الله؟

فتقول: الرضا معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وإذا قيل لك: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجَادلة: ١٤]، كيف يغضب الله؟

فتقول: الغضب معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وإذا قيل لك: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]، كيف يعلم؟

فتقول: العلم معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فيقال مثل هذا القول، ويجاب بهذا الجواب في جميع الصفات، كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ.

○ قوله: **(الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول)** هذه الرواية الثانية عن الإمام مالك، ومعنى الروايتين واحد، فقوله هنا **(الاستواء غير مجهول)** يعني: معلوم **(والكيف غير معقول)** يعني: مجهول.

○ قوله: **(وهذا بعينه قول أهل الإثبات)** فأهل الإثبات يثبتون الاستواء ولا ينفونه كما يفعله المبتدعة، فالله تعالى أمرنا بتدبر القرآن فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النِّسَاء: ٨٢]، ولم يقل سبحانه: إلا آيات الصفات فلا تتدبروها، فنحن نتدبرها ونعلم معناها، لكن الكيفية هي التي لا نعرفها، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾ [القَمَر: ١٧]، فأمرنا ﷻ بالتدبر والتذكر، وهذا عام في القرآن لا يستثنى منه شيء، فهذا التدبر يشمل آيات الصفات؛ لأن معانيها معلومة، لكن المجهول لنا منها هو الكيفية.

○ قوله: **(وأما النفاة فما يثبتون استواء حتى تُجهل كيفيته)** **أي**: أن النفاة لا يثبتون الاستواء أصلا، وإذا لم يثبت عندهم الاستواء فكيف يقال: الكيفية مجهولة؟! فليس هنالك استواء يُثبت حتى تُجهل كيفيته.

○ قوله: **(بل عند هذا القائل الشاك)** الشاك هو: الذي يقول لا نثبت الأسماء ولا ننفيها؛ بل نشك ولا نجزم ـ كما تقدم ذكره ـ، فالذين يتوقفون يقولون: لا نثبت الأسماء والصفات ولا ننفيها، وعلى هذا يكون الاستواء عندهم مجهولا؛ لأن عندهم شك وحيرة، وهذا مؤدى قولهم: لا نثبت ولا ننفي، فإذا كان الاستواء مجهولاً، لم يُحْتَج أن يقال: الكيف مجهول.

○ قوله: **(ولهذا بدع السائل الذي سأله عن هذه الكيفية)** لما كان كلام الإمام مالك رحمه الله صريحا في إثبات الاستوء وأن له كيفية، لكن تلك الكيفية مجهولة لنا معلومة لله، بدَّعَ رحمه الله السائل؛ لأن الكيفية لا يمكن الوصول إليها، فهو يسأل عن أمر لا يمكن الوصول إليه، ولا يعلمه إلا الله. فقال رحمه الله للسائل: **(وما أراك إلا رجل سوء)**

وقال عن سؤاله عن الكيفية: **(والسؤال عنه بدعة)** يعني: كيف تسأل عن شيء لا يستطيع البشر أن يعلموه، ولا يعلمه إلا الله؛ **(فإن السؤال إنما يكون عن أمر معلوم لنا ونحن لا نعلم كيفية استوائه)**، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ **(فليس كل ما كان معلوما وله كيفية تكون تلك الكيفية معلومة لنا بالضرورة)** **يعني**: أن هناك أشياء نعلمها ولها كيفية؛ ولكن لا يلزم من ذلك أن نعلم كيفيتها، فأنت ترى النجوم والكواكب وتعلم وتتحقق من وجودها؛ لكن هل تعلم كيفيتها؟ لا تعرف، **إذن**: فأنت تعلم أنها موجودة وتراها بعينيك، لكن لا تعلم كيفيتها، فليس كل ما هو معلوم وله كيفية تكون كيفيته معلومة لنا، **فإذا كان هذا في المخلوق**، فمن باب أولى أن صفات الله وأسماءه المعلومة لنا لا نستطيع تكييفها، بل لا يعلم كيفيتها إلا الله وحده.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

يبين ذلك أن المالكية وغير المالكية نقلوا عن مالك أنه قال: الله في السماء وعلمه في كل مكان[١]، حتى ذكر ذلك مكي ـ خطيب قرطبة ـ في كتاب التفسير الذي جمعه من كلام مالك، ونقله أبو عمر الطلمنكي وأبو عمر بن عبدالبر وابن أبي زيد في المختصر وغير واحد، ونقله أيضا عن مالك غير هؤلاء ممن لا يُحْصَى عددهم: مثل أحمد بن حنبل وابنه عبدالله والأثرم والخلال والآجري وابن بطة وطوائف غير هؤلاء من المصنفين في السنة، ولو كان مالك من الواقفة أو النفاة لم ينقل هذا الإثبات. والقول الذي قاله مالك: قاله قبله ربيعة بن أبي عبدالرحمن ـ شيخه ـ كما رواه عنه سفيان بن عيينة[٢].

وقال عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون[٣] كلاما طويلا يقرر مذهب الإثبات، ويرد على النفاة، قد ذكرناه في غير هذا الموضع.

الشَّرْح

○ قوله: (الله في السماء وعلمه في كل مكان) هذا الأثر

(١) انظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١١)، مسائل الإمام أحمد من رواية أبي داود (٢٦٣)، والشريعة للآجري (٢٨٩)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٦٧٣) وابن قدامة في إثبات صفة العلو رقم (٧٦).

(٢) انظر: الأسماء والصفات، للبيهقي (ص٥١٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة، للالكائي (٣/ ٣٩٨).

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٥٥٦ -٥٥٧) (٣/ ٨٧٣)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٧) (٢/ ٣٥).

صحيح، رواه عدد من الحفاظ والمصنفون عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ[١]، والمعنى: أن ذاته في السماء فوق العرش، وقوله: **(في السماء)** يراد به العلو، فكلمة السماء يراد بها العلو؛ لأن **(في)** للظرفية، والله تعالى له أعلى العلو وهو ما فوق العرش، وعلمه سبحانه في كل مكان.

○ قوله: **(حتى ذكر ذلك مكي ـ خطيب قرطبة...)** يعني: لو كان مالك رَحِمَهُ اللَّهُ على مذهب الواقفة، أو كان مواقفا لهم، أو كان على مذهب نفاة الصفات؛ لما نقل عنه هؤلاء العلماء هذه النقول التي تبين أنه من أهل الإثبات، ومن أهل السنة المحضة.

○ قوله: **(والقول الذي قاله مالك: قاله قبله ربيعة بن أبي عبدالرحمن...)** هذا القول الذي قاله مالك: **(الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)** هذا أيضا مروي عن شيخ الإمام مالك: ربيعة بن أبي عبدالرحمن، ومروي عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولكن فيه ضعف[٢]، لكنه اشتهر عن الإمام مالك، وثبت عنه ـ كما تقدم ـ.

○ قوله: **(وقال عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون كلاما طويلا يقرر مذهب الإثبات ويرد على النفاة)** **أي**: يقرر فيه عبدالعزيز بن عبدالله بن أبي سلمة الماجشون مذهبَ الذين يثبتون الأسماء والصفات لله؛ من العلو والعلم والقدرة والسمع والبصر

---

(١) وأورده المؤلف في مجموع الفتاوى (٥/ ٥٣)، وفي درء تعارض العقل والنقل (٦/ ٢٦٢)، وقال: كل هذه الأسانيد صحيحة.

(٢) وورد أيضًا عن أم سلمة مرفوعًا وموقوفًا، قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٥): وقد رُوِيَ هذا الجواب عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقوفًا ومرفوعًا، ولكن ليس إسناده مما يُعْتَمَدُ عليه.

والغضب والرضا والمحبة والنزول، وأنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا معناه.

○ قوله: **(قد ذكرناه في غير هذا الموضع)** نقله المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عنه في رسالته الحموية[(١)].

(١) انظر: الحموية ص (٣٠٧-٣١٠).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكلام المالكية في ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم وكلام أئمة المالكية وقدمائهم في الإثبات كثير مشهور. حتى أن علماءهم حكوا إجماع أهل السنة والجماعة على أن الله بذاته فوق عرشه، وابن أبي زيد إنما ذكر ما ذكره سائر أئمة السلف، ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا وهو إنما ذكر هذا في مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين؛ لأنه عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يلقنها كل أحد، ولم يَرُد على ابن أبي زيد في هذا إلا من كان من أتباع الجهمية النفاة، لم يعتمد من خالفه على أنه بدعة ولا أنه مخالف للكتاب والسنة؛ ولكن زعم من خالف ابن أبي زيد وأمثاله أن ما قاله مخالف للعقل، وقالوا: إن ابن أبي زيد لم يكن يحسن فن الكلام الذي يعرف فيه ما يجوز على الله عز وجل وما لا يجوز.

والذين أنكروا على ابن أبي زيد وأمثاله من المتأخرين تلقوا هذا الإنكار عن متأخري الأشعرية ـ كأبي المعالي وأتباعه ـ وهؤلاء تلقوا هذا الإنكار عن الأصول التي شاركوا فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية.

الشَّرْح

○ قوله: (وكلام المالكية في ذم الجهمية النفاة مشهور في كتبهم...) وكذلك كلام الشافعية والحنابلة والأحناف، فكل أهل السنة على ذم مذهب الجهمية.

○ قوله: (أن الله بذاته فوق عرشه) كلمة (بذاته) لم ترد في الكتاب ولا في السنة، لكن **مقصود أهل العلم بإيراد هذه الكلمة**: الرد على الجهمية، الذي أنكروا علو الله على خلقه، وقالوا: إن العلو المراد هو علو القدر والسلطان، أو علو العظمة والشأن؛ وأنكروا علو الذات، ولهذا ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن أهل السنة والجماعة أجمعوا على أن الله بذاته فوق عرشه، للرد عليهم.

والعلو ـ كما سبق ـ **ثلاثة أنواع**: علو الذات، وعلو القهر والسلطان، وعلو القدر والعظمة والشأن.

وقد وافق أهلُ البدع أهلَ السنة في نوعين من العلو؛ فوافقوهم في علو القدر والشأن، وعلو القهر والسلطان، وأنكروا علو الذات.

وقد أوَّلوا النصوص التي فيها إثبات علوِّ الله على خلقه بذاته، فحملوها على علو القدر والشأن، أو علو القهر والسلطان.

○ قوله: (وابن أبي زيد إنما ذكر ما ذكره سائر أئمة السلف ولم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا) يعني: أن ابن أبي زيد القيروانيّ ذكر إثبات الصفات لله عَزَّوَجَلَّ، ومنها: العلو، ولم يكن من أئمة المذهب المالكي من خالفه في إثبات الصفات.

○ قوله: (وهو إنما ذكر هذا في مقدمة الرسالة لتلقن لجميع المسلمين) فإنه في مقدمة كتابه: الرسالة، وهو في الفقه؛ قال: (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كلِّ مكان بعلمه)[1] وهذا إنما ذكره حتى يتعلمه الناس ويحفظه العوام فأورده في مقدمة الرسالة تحت باب: ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور

(١) الرسالة، لابن أبي زيد القيرواني (ص٥).

الديانات؛ فهذه المقدمة تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة[١].

○ قوله: **(لم يعتمد من خالفه على أنه بدعة)** ابن أبي زيد رَحِمَهُ اللَّهُ من أهل السنة مالكي المذهب، وهناك من رد عليه من أهل البدع، ولم يرد عليه أحد من أهل السنة، وإنما رد عليه من كان من أتباع الجهمية النفاة، فإن الذين أنكروا عليه وعلى أمثاله من المتأخرين تلقوا هذا عن متأخري الأشعرية، ومعلوم أن متأخري الأشاعرة ـ ومنهم: أبو المعالي الجويني ـ لا يثبتون إلا سبع صفات ـ هي: الحياة، والكلام، والبصر، والسمع، والعلم، والقدرة، والإرادة ـ.

ثم إن هؤلاء ـ أي: المتأخرين من الأشعرية ـ تلقوا هذا الإنكار عن الأصول التي شاركوا فيها المعتزلة ونحوهم من الجهمية النفاة.

ولم يقل من خالف ابن أبي زيد إنه مبتدع ولا أنه مخالف للكتاب والسنة **(ولكن زعم من خالف ابن أبي زيد وأمثاله أن ما قاله مخالف للعقل)** وهذا مذهب الجهمية والمعتزلة أنهم يعتمدون على عقولهم **(وقالوا: إن ابن أبي زيد لم يكن يحسن فن الكلام)** فعارضوه بعقولهم، وإذا كان كذلك، فلا عبرة به.

(١) انظر: عقيدة السلف: مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، للشيخ/ بكر بن عبدالله أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ، وقطف الجنى الداني شرح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، للشيخ/ عبد المحسن بن حَمَد العبَّاد البدر ـ حفظه الله ـ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فالجهمية ـ من المعتزلة وغيرهم ـ هم أصل هذا الإنكار. وسلف الأمة وأئمتها متفقون على الإثبات، رادون على الواقفة والنفاة، مثل ما رواه البيهقي وغيره عن الأوزاعي قال: كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته[1]. وقال أبو مطيع البلخي في كتاب الفقه الأكبر المشهور: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: قد كفر؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سموات، فقلت إنه يقول: على العرش استوى ولكن لا يدري العرش في السماء أو في الأرض؟ فقال إذا أنكر أنه في السماء كفر؛ لأنه تعالى في أعلى عليين؛ وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل. وقال عبدالله بن نافع: كان مالك بن أنس يقول: الله في السماء وعلمه في كل مكان. وقال معدان: سألت سفيان الثوري عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾[الحديد: ٤] قال: علمه. وقال حماد بن زيد فيما ثبت عنه من غير وجه رواه ابن أبي حاتم والبخاري وعبدالله بن أحمد وغيرهم: إنما يدور الجهمية على أن يقولوا ليس في السماء شيء.

الشرح

الأصل في إنكار الصفات أنه مأخوذ عن: الجهمية والمعتزلة؛

(١) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٠٤)، وكتاب العرش وما روي فيه، لأبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي (ص١٥٠) وسير أعلام النبلاء (١/ ٦٠).

فأساس التجهم: إنكار الصفات.

والأشاعرة ـ وإن أثبتوا سبع صفات ـ إلا أنهم تلقوا هذا الإنكار عن أشياخهم وأساتذتهم من المعتزلة والجهمية.

○ قوله: (وسلف الأمة وأئمتها متفقون على الإثبات) **سلف الأمة هم**: الصحابة والتابعون ومن بعدهم، وهم متفقون على إثبات الأسماء والصفات لله ﷻ، ومن ذلك: علو الله على خلقه، واستواؤه على العرش، ونزوله إلى السماء الدنيا، ورؤيته يوم القيامة.

○ قوله: (رادون على الواقفة والنفاة) السلف يردون على طائفتين: يردون على النفاة ـ الذين ينفون الأسماء والصفات ـ، ويردون على الواقفة ـ الذين توقفوا؛ فلم يثبتوا ولم ينفوا ـ.

ـ سرد المؤلف رحمه الله الآثار على بطلان قول الجهمية الذين ينفون الأسماء والصفات عن الله ﷻ، وينكرون صفة العلو، والذي فيها إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه واتصافه بصفاته، مثل ما فعل في الحموية، فقد نقل فيها نقولاً كثيرة، ونقل هنا أيضا نقولاً عن العلماء في الرد على النفاة والواقفة، فنقل عن الأوزاعي إمام أهل الشام أنه قال: (كنا والتابعون متوافرون نقول إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته) فهذا الكلام كان يقال والتابعون متوافرون، وهذا يعني: إقرارهم بهذا الكلام والتسليم به.

○ قوله: (وقال أبو مطيع البلخي في كتاب الفقه الأكبر) **الفقه الأكبر، هو**: الفقه في أسماء الله وصفاته، **والفقه الأصغر، هو**: الفقه في أحكام العبادات؛ كأحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصوم. وفي الحديث الذي رواه الشيخان من حديث معاوية يقول

النبي ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[(١)] **فالفقه في الدين نوعان:**

الأول: فقه في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وهذا هو الفقه الأكبر.

الثاني: فقه بأحكام العبادات؛ كالصلاة والزكاة، وهذا هو الفقه الأصغر.

فالفقه في الاعتقاد هو الفقه الأكبر؛ لأنه أصل الدين وأساس الملة، فأبوحنيفة وأبومطيع صنَّفا في الأسماء والصفات: الفقه الأكبر.

○ قوله: **(سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: قد كفر)** فالإمام أبوحنيفة رحمه الله كفَّر من يقول: لا أعرف ربي في السماء، أو في الأرض، فقال: بتكفيره؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، والعرش فوق سبع سماوات.

○ قوله: **(فقلت إنه يقول: على العرش استوى، ولكن لا يدري العرش في السماء أو في الأرض)** سأله أبو مطيع السؤال الثاني فقال: إنه يقول إن الله على العرش، لكن لا يدري العرش في السماء أو في الأرض؟ **(فقال: إذا أنكر أنه في السماء كفر) أي:** حتى ولو قال: إنه على العرش استوى، وقال: لا أدري العرش في السماء أو في الأرض، فإنه يكفر؛ لأنه إذا أنكر أن العرش في السماء فقد أنكر علو الله؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب: من يرد به خيرا يفقهه في الدين، رقم (٧١)، ومسلم في كتاب صلاة الكسوف، رقم (١٠٣٧)، كلهم من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

سقف العالم، وأعلى المخلوقات، والله تعالى في أعلى عليين وأنه تعالى يُدعا من أعلى لا من أسفل.

○ قوله: **(الله في السماء)** يعني: ذاته في السماء وهو فوق العرش، **(وعلمه في كل مكان)** أي: علم الله في كل مكان، فلا يخفى عليه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء وهو فوق العرش بذاته.

○ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] **المعنى**: أنه معكم بعلمه وهو فوق العرش، وهذا هو سبيل الجمع بين نصوص المعية ونصوص الفوقية، لأن النصوص يُضم بعضها إلى بعض، بخلاف الجهمية الذين ضربوا النصوص بعضها ببعض، وأنكروا نصوص العلو والفوقية، وأبطلوها بنصوص المعية، وهذا من جهلهم وضلالهم، ومما يبين ذلك أنه تعالى قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ **فالمقصود**: معيةٌ بالعلم والاطلاع، بدليل قوله تعالى في سياق الآية نفسها في افتتاحيتها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، افتتح الآية بالعلم، ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٧] **افتتح الآية**: بالعلم **واختتمها**: بالعلم، فعُلم أن المعيةَ معيةُ علم وإحاطة واطلاع.

○ قوله: **(وقال حماد بن زيد فيما ثبت عنه من غير وجه ... إنما يدور الجهمية على أن يقولوا ليس في السماء شيء)** يعني: أن كلام الجهمية يدور على إنكار وجود الله؛ **لأنهم إذا أنكروا الأسماء والصفات فمعناه: أنهم أنكروا وجود الله**؛ فإن الشيء لا يوجد إلا

مسمًّا موصوفًا، **فإذا قلت**: إن هناك منضدة؛ ليس لها طول، ولا عرض، ولا عمق، وليست فوق السماء ولا تحت الأرض، وليس لها ذات، وليست من خشب ولا من زجاج، ولا أصفها بأي صفة، **ماذا تكون؟**

■ **الجواب**: تكون عدمًا.

وهكذا الملاحدة، فإنهم يصفون ربهم بقولهم: لا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، وليس له علم، ولا قدرة، ولا داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوقه، ولا تحته، ولا مباين له، ولا محايث له، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، ولا نَصِفه بصفة الوجود أيضاً، فهذا هو العدم بعينه.

بل إنك إذا أردت أن تصف أو تعرّف المعدوم بأكثر من هذا لَمَا استطعت!

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال علي بن الحسن بن شقيق قلت لعبدالله بن المبارك: بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه. وهذا مشهور عن ابن المبارك ثابت عنه من غير وجه، وهو أيضاً صحيح ثابت عن أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغير واحد من الأئمة. وقال رجل لعبدالله بن المبارك: يا أبا عبدالرحمن قد خفت الله من كثرة ما أدعو على الجهمية، قال: لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء. وقال جرير بن عبدالحميد: كلام الجهمية أوله شهد وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله. رواه ابن أبي حاتم.

الشَّرْح

كلام الإمام عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ في قول الجهمية في نفيهم للعلو.

○ قوله: (بماذا نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه) وهذا الأثر ـ وهو إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه وأنه بائن من خلقه ـ ثابت عن ابن المبارك من غير وجه، وهو أيضا ثابت عن جمع من الأئمة، كالإمام أحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم، بل هذا هو قول الأئمة وقول أهل السنة قاطبة؛ أن الله مستو على عرشه، فوق مخلوقاته، بائن منهم.

وعلوُّ الله على خلقه غير استوائه على عرشه؛ فالاستواء على العرش صفة أخرى، **فالعلو عام على جميع المخلوقات، والاستواء خاص بالعرش.**

○ قوله: (بائن من خلقه) **معناه**: أنه منفصل عن مخلوقاته ليس مختلطاً بهم، **وفي هذا**: الرد على الحلولية الجهمية ـ فهم يقولون: إنه مختلط بالمخلوقات ـ فالمخلوقات سقفها عرش الرحمن، **فآخر المخلوقات وأعلاها وسقفها هو**: عرش الرحمن، والله فوق العرش، وبعده تنتهي المخلوقات، وهو سبحانه ليس بحاجة إلى العرش ولا إلى غيره، وهو ﷻ حامل العرش بقوته وقدرته.

○ قوله: (وقال رجل لعبدالله بن المبارك: يا أبا عبدالرحمن قد خِفْتُ الله من كثرة ما أدعو على الجهمية) يعني: أن هذا الرجل كان يدعو على الجهمية ثم تحرَّج، فظن أن دعاءه عليهم قد يلحقه فيه إثم، فقال له عبدالله بن المبارك: (لا تخف) **ادع عليهم واستمر** (فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء) فبيَّن ابن المبارك رحمه الله أن مذهب الجهمية إنكار وجود الرب ﷻ؛ وذلك لأنهم ينكرون علو الله على خلقه، ويقولون: إنه في كل مكان، وبعضهم ينفي النقيضين فيقول: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا مباين له ولا محايث.

وقول الجهمية هذا يؤدي إلى: إنكار وجود الرب؛ لأن تلك أوصاف العدم.

○ قوله: (وقال جرير بن عبدالحميد: كلام الجهمية أوله شهد...) **الشهد هو**: العسل، وقد قال جرير رحمه الله هذا؛ لأنهم في أول الأمر يُظهرون لك أنهم إنما يريدون أن يُنزهوا الله عن مشابهة

المخلوقات **(وآخره سم)** لأنك إذا تبيَّنت أمرهم؛ وجدت أنهم ينكرون وجود الله، لذا قال رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله)** فهذا هو السم؛ أنهم يحاولون ذلك بقولهم: أن الله ليس له شبيه، وأنه لا يماثل المخلوقات، وأنه لا يكون فوق؛ لأنه لوكان فوق لكان جسم، ولو كان جسم لكان شبيها للمخلوقات، وليس فوق العالم ولا تحت، ولا أمام ولا خلف، ولا يمين ولا شمال، ولا يوصف بأي صفة، فليس له علم ولا قدرة ولا سمع ولا بصر ... إلخ، فبكلامهم هذا هم في الحقيقة ينكرون وجود الله؛ لأن هذه الصفات هي صفات العدم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ورواه هو وغيره بأسانيد ثابتة عن عبدالرحمن بن مهدي قال: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله عز وجل كلم موسى بن عمران وأن يكون على العرش أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم. وقال يزيد بن هارون: من زعم أن الله على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي.

وقال سعيد بن عامر الضبعي ـ وذكر عنده الجهمية فقال ـ: هم أشر قولا من اليهود والنصارى، قد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش وقالوا هم ليس عليه شيء. وقال عباد بن العوام الواسطي: كلمت بشرا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا ليس في السماء شيء، أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا وهذا كثير في كلامهم.

الشَّرْح

○ قوله: (ورواه هو وغيره بأسانيد ثابتة عن عبدالرحمن بن مهدي قال: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله ﷻ كلم موسى...) **أي**: روى ابن أبي حاتم عن الإمام عبدالرحمن بن مهدي أن الجهمية أرادوا نفي أن يكون الله ﷻ كلَّم موسى عليه السلام، **وإذا نفوا الكلام فمعناه**: أنهم أنكروا جميع الرسالات؛ لأن الرسالات كلها بالكلام، وبنفيهم الكلام يكونون أيضا قد أنكروا الكتب المنزلة، وأرادوا نفي أن يكون الله على عرشه، **وهذا يعني**: إنكار علو الله

على خلقه، وأنه ليس له مكان بل هو مختلط بالمخلوقات، وهذا يؤدي إلى إنكاره وعدم وجوده سبحانه.

قال: **(أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم)** وذلك لأنهم كفار يستحقون القتل، إن لم يتوبوا ضربت أعناقهم.

○ قوله: **(وقال يزيد بن هارون: من زعم أن الله...)** **يعني**: أنه بهذا الاعتقاد ينفي علو الله على الخلق، قد اعتقد شيئاً يخالف الفطرة التي فطر الله الناس عليها فهو جهمي؛ وذلك أن الله فطر الخلائق على التوجه إليه في العلو عند النوازل والشدائد، فمن زعم في معنى الاستواء معاني تخالف **الذي استقر في فِطَرِ العامة وقلوبهم**؛ من الإقرار لله بالعلو المطلق، وأن الله استوى على العرش في العلو، وأن الخلائق عند الشدائد والملمات إذا أصابها ضيم تتوجه إلى العلو، فمن زعم أن الاستواء هو الملك والقهر؛ فإنه يخالف هذه الفطرة، ويخالف ما قرَّ في قلوب العامة؛ فيكون جهمياً.

○ قوله: **(هم أشرُّ قولا من اليهود والنصارى)** **أشرّ**: هذه لغة قليلة، والأكثر في الاستعمال "شر" بدون همزة[(١)].

وبيان وجه أن قولهم أشرّ: أن اليهود والنصارى يقرون بتوحيد الربوبية، ويثبتون وجود الله واستواءه على عرشه، فلهذا صار قول الجهمية شر من قول اليهود والنصارى في هذه المسألة، وإلا فاليهود والنصارى كفار؛ لأنهم لم يؤمنوا برسالة النبي ﷺ، حتى النصارى الذين قالوا بالتثليث لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل هم متفقون أن صانع العالم واحد، **وبالجملة**: فهم لا

(١) انظر: شرح الكافية الشافية، لابن مالك (٢/ ١١٢٧-١١٢٨)، وشرح شذور الذهب، للجوجري (٢/ ٧٢٣).

يقولون بإثبات خالقين متماثلين[١]، فصاروا بذلك أحسن حالاً من الجهمية من جهة إثبات العلو، ولهذا قال: (وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش) **وأهل الأديان هم**: اليهود والنصارى؛ فإنهم قد وافقوا المسلمين على أن الله على العرش، (وقالوا:) أي: الجهمية (هم ليس عليه شيء) فهم شر من اليهود والنصارى في هذه المسألة؛ لأن اليهود والنصارى وافقوا المسلمين على أن الله على العرش، وقالت الجهمية: ليس على العرش شيء، فصار قولهم شر من قول اليهود والنصارى من هذه الجهة، وليس معنى ذلك أن اليهود والنصارى ليسوا كفارا! بل كفرهم واضح وبيِّن.

○ قوله: (وقال عباد بن العوام الواسطي: كلمت بِشْرا المريسي) بشر المريسي جهمي تقلد مذهب الجهمية، وهو متأخر في القرن الثالث الهجري، تَزَعَّمَ طائفة تسمى: المريسية، وقد رد عليه الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب المشهور: «نقض عثمان بن سعيد الدارمي على بشر المريسي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد»، فعبَّاد كلم بِشْرا في إثبات علو الله على خلقه، قال: (فرأيت آخر كلامهم ينتهي إلى أن يقولوا ليس في السماء شيء)، يعني: رأيت أن كلامهم يدور على إنكار وجود الله، وأنه ليس فوق العرش، **فإذا قلنا**: أين هو؟ هل هو فوق العرش؟ **قالوا**: لا؛ لأنهم يزعمون أنه لو كان فوق العرش لكان جسما ولكان محدوداً، وهذا فيه تشبيه له بالمخلوقات، وهذا تنقص له؛ لو كان في جهة معينة، يلزم منه أن يكون جسما، وأن يكون محدودا، وأن يكون متحيزا، **ولذلك قالوا**: هو ذاهب في الجهات كلها، فهو في كل مكان،

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص٨٠).

فكلامهم في النهاية يؤدي إلى إنكار وجود الله.

ثم حكم عليهم عبَّاد فقال: **(أرى والله أن لا يناكحوا ولا يوارثوا)** وهذا حكم عليهم بالكفر؛ لأن الذي لا يورث ولا يزوَّج ليس من المسلمين، فالكافر لا يورث؛ لأنه مخالف للدين.

وذكر العلّامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أن الجهمية قد كفرهم خمسمائة عالم، فقال في النونية[(١)]:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام قد حكاه عنهم ... بل قد حكاه قبله الطبراني

فهؤلاء العلماء يقولون: إن الجهمية خارجون من الثنتين والسبعين فرقة؛ لكفرهم وضلالهم، يشير إلى قول النبي ﷺ: «**وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً**»[(٢)] فهذه الثنتان وسبعون فرقة من أهل البدع عليهم الوعيد كلهم في النار وليسوا كفارا، أما الجهمية فإنهم خارجون من الثنتين والسبعين.

(١) النونية بشرح ابن عيسى (١/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أبو داود في كتاب السنة، باب: شرح السنة رقم (٤٥٩٦)، والترمذي في أبواب الإيمان، باب: ماجاء في افتراق هذه الأمة، رقم (٢٦٤٠) وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب: افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١)، وأحمد في المسند (١٤/ ١٢٤)، والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا ذكر أهل الكلام الذين ينقلون مقالات الناس "مقالة أهل السنة وأهل الحديث" كما ذكره أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي صنفه في "اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين" فذكر فيه أقوال الخوارج والروافض والمرجئة والمعتزلة وغيرهم. ثم قال: ذِكْرُ مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث، وجملة قولهم: الإقرار بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئا، إلى أن قال ـ وأن الله على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥].

الشَّرْحُ

○ قوله: (وهكذا ذكر أهل الكلام) أبو الحسن الأشعري في كتابه الذي سماه: "اختلاف المصلين ومقالات الإسلاميين" ذكر أقوال الخوارج وأقوال الروافض، وأقوال المرجئة وأقوال المعتزلة، فبعد أن ذكر مقالاتهم في باب الاعتقاد ذكر أقوال أهل السنة في هذا الباب، فقال: (ذكر مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث وجملة قولهم).

○ قوله: (الإقرار بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله وبما جاء من عند الله) **الإقرار هو**: الإيمان، **فالمعنى**: يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، ويضاف إلى هذا: الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر

خيره وشره؛ فهذه أصول الإيمان الستة.

○ قوله: **(وبما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ) أي**: ويؤمنون بما ثبت عن رسول الله ﷺ من الأحاديث التي رواها الثقات الأثبات.

○ قوله: **(وأن الله على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]) هذا فيه**: إثبات استواءِ الله على عرشه، وعلوِّ الله على خلقه، **وفيه أيضا**: الرد على الجهمية؛ الذين ينكرون علوَّ الله واستواءه.

○ قوله: **(وأن له يدين بلا كيف كما قال تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]) هذا فيه**: الرد على الجهمية، والمعتزلة والأشاعرة، **فالأشاعرة** لا يُثبتون اليدين؛ فبعضهم يفسرها بالقدرة، وبعضهم يفسرها بالنعمة، وهذا يفسد المعنى؛ فنعم الله كثيرة ليست محصورة باثنتين، فلو كان كما يقولون لصار المعنى: لما خلقت بقدرتَيَّ أو بنعمتَيَّ! والله تعالى له نعم كثيرة، فهل يقال: إن لله قدرتين ونعمتين فقط؟!

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأقروا أن لله علما كما قال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النِّسَاء: ١٦٦]، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فَاطِر: ١١]، وأثبتوا السمع والبصر؛ ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة، وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسَان: ٣٠] إلى أن قال: ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق؛ ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ مثل: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟» كما جاء في الحديث، ويقرون أن الله يجئ يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفَجر: ٢٢]، وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [قَ: ١٦])، وذكر أشياء كثيرة إلى أن قال: فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب.

الشَّرْح

○ قوله: **(وأقروا أن لله علما ... وأثبتوا السمع والبصر)** هذه من الصفات السبع التي يُثبتها الأشاعرة، فهم يوافقون أهل السنة في هذا.

○ قوله: **(ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة)** فإن المعتزلة ينكرون الصفات، ويثبتون الأسماء بلا معاني.

○ قوله: **(وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله)** يعني: أنهم أثبتوا مشيئة الله وأن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله.

○ قوله: **(ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق)** هذا قول أهل السنة والجماعة، خلافا للمعتزلة الذين يقولون إن كلام الله مخلوق، وخلافا للأشاعرة الذين يقولون: الكلام معنى قائم بالنفس، ثم يختلفون بعدُ فيمن عبَّر عنه على ثلاثة أقوال.

○ قوله: **(ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ. مثل: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا»)** وهذا من الأحاديث المتواترة.

○ قوله: **(ويقرون أن الله يجئ يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢])** يجئ الله يوم القيامة مجيئا يليق بجلاله وعظمته، لا يشبه مجيء المخلوقين سبحانه.

○ قوله: **(وأن الله يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق: ١٦])** هذا الذي اختاره أبو الحسن الأشعري أن القرب هنا: قرب الله، فَيَقْرُب سبحانه من الخلق كيف شاء: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ يعني: أن الله أقرب إلى خلقه كيف شاء، من حبل الوريد، هذا **القول الأول.**

القول الثاني: أن الضمير يعود إلى الله، يعني: نحن أقرب إلى العبد، أي: أقرب بعلمِه، وذاتُه فوق العرش، لكن قال شيخ الإسلام: (لا يجوز أن يراد به مجرد العلم)[1].

القول الثالث: أن الضمير يعود إلى الملائكة، وهذا اختيار

(١) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٢) وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٣٦).

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف[١] **فالمعنى**: ونحن أقرب إليه بملائكتنا من حبل الوريد، فالملائكة أقرب إلى العبد من حبل الوريد، **وهذا ليس من التأويل الباطل**؛ بدليل السياق، فإنه سبحانه قيده بالظرف في قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق: ١٧]، والتقدير: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقت تلقي المتلقيان. ولو كان المراد قرب الله لم يقيد بوقت تلقي المتلقيين، بل في كل وقت[٢].

○ قوله: **(وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب)** هذا يدل على أن أبا الحسن الأشعري رجع إلى معتقد أهل السنة والجماعة، فقد كان قبل ذلك أشعريا، لكن بقيت عليه أشياء بسبب طول مكثه على مذهب المعتزلة والأشاعرة، كعبارته الآتية بنفي الجسمية عن الله.

(١) شرح حديث النزول (ص١٢٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٥/ ١٢٨-١٢٩) (٥/ ٢٣٣-٢٣٦) (٥/ ٤٩٤- ٥١٢) (٦/ ١٩-٢٣) وبيان تلبيس الجهمية (٦/ ٣٠-٤٠) وشرح حديث النزول (١٢٤-١٣٩) ومختصر الفتاوى المصرية (ص٤٩١).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الأشعري أيضا في مسألة الاستواء: (قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم، ولا يشبه الأشياء، وأنه على العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله في القول، بل نقول استوى بلا كيف، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأن الله ينزل إلى السماء الدنيا كما جاء في الحديث).

قال: (وقالت المعتزلة: استوى على العرش بمعنى استولى. وقال الأشعري أيضا في كتابه "الإبانة في أصول الديانة" في: باب الاستواء: (إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل: نقول له: إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨][(١)]).

الشرح

○ قوله: (قال الأشعري أيضا في مسألة الاستواء: قال أهل السنة وأصحاب الحديث ليس بجسم) **نفي الجسم وإثباته لم يرد في الكتاب ولا في السنة**، فقول الأشعري أن أهل السنة لا يثبتون

(١) هكذا في نسخة القاعدة المراكشية، وفي موضعها من مجموع الفتاوى (٥/ ١٨٦)، لكن في الإبانة عن أصول الديانة (ص١٠٦) زيادة آية، وهي قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجدَة: ٥].

الجسم لله جل وعلا، ليس بصحيح، **بل الجسم لا يثبت ولا ينفى**؛ لأنه لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، لكن من أطلقه على الله نفياً أو إثباتاً فإنه يُستفصل عن المعنى الذي أراد.

وذلك أنه من الألفاظ المجملة التي يراد بها الحق، ويراد بها الباطل؛ فإن أراد معنى حقًا قُبل، وإن أراد معنى باطلًا رُدَّ، **فإذا قال**: إن الله جسم، **فنقول له**: ما مرادك بالجسم؟

فإن قال: أعني: بذلك أن الله متصف بالصفات! **قلنا له**: هذا المعنى صحيح؛ لكن هذا اللفظ لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة، فلا يَحْسُن أن تأتي به، بل تأتي بالألفاظ التي وردت في النصوص؛ لأن ألفاظ النصوص بريئة من احتمال المعاني الفاسدة.

وإن قال: ليس بجسم وإنما أقصد بهذا أن الله ليس بمتصف بالصفات! **قلنا له**: هذا معنى باطل، واللفظ باطل.

كذلك لفظ العَرَض؛ فإذا قال: ليس لله عرض، **فنقول له**: ما مرادك بالعرض؟

فإن قال: أعنى: الصفات، فالله تعالى لايتصف بالصفات. **قلنا له**: هذا باطل.

وهكذا القول في الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها في الكتاب ولا في السنة؛ مثل القول بأنه: متحيز، أو في جهة، أو أن له أبعاضا، أو أعراضا، فكل هذه لم ترد لا في الكتاب ولا في السنة، فمن أطلقها نفيا أو إثباتا يُستفصل منه؛ **فإن أراد معنى حقا**: قُبِل، **وإن أراد معنى باطلا**: رُدَّ، **وإن اشتمل كلامه على حق وباطل**: قُبِل الحق وَرُدَّ الباطل، وأما اللفظ فلا يطلق نفيا ولا إثباتا.

○ قوله: **(ولا يشبه الأشياء)** أي: أن الله لا يشبه أحداً من خلقه.

○ قوله: **(وأنه على العرش كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله في القول)** وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١﴾ [الحُجرَات: ١]، فلا يتقدم الإنسان بين يدي الله ورسوله، ولا يقول قولاً يخالف الكتاب والسنة، لأن ذلك من التقدم بين يدي الله ورسوله **(بل نقول استوى بلا كيف)** فلا نُكيِّف، وذلك أن الكيفية لا يعلمها إلا الله.

○ قوله: **(قال:)** أي: أبو الحسن الأشعري **(وقالت المعتزلة: استوى على العرش بمعنى: استولى)** وتفسير الاستواء بالاستيلاء **هو من التأويل الباطل**، بل المعنى الحق: أنه استوى استواء حقيقياً يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه استواء المخلوقين.

○ قوله: **(وقال الأشعري أيضا في كتابه "الإبانة في أصول الديانة")** هذا النقل عن أبي الحسن الأشعري من كتابه: "الإبانة في أصول الديانة" وهو من آخر مؤلفاته التي ألفها بعد رجوعه إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

○ قوله: **(إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟) أي**: ما تقول يا أبا الحسن أنت وممن معك على هذا المعتقد، في الاستواء؟ **(قيل: نقول له: إن الله مستو على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]) يعني**: ليس كاستوائك، بل استواء يليق بجلال الله وعظمته.

○ قوله: (وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فَاطِر: ١٠]) هذا فيه: إثبات صفة العلو، وذلك أن الصعود يكون من أسفل إلى أعلى.

○ قوله: (وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨]) هذا فيه: إثبات العلو، وذلك أن الرفع يكون من أسفل إلى أعلى.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال حكاية عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] **كذَّب موسى في قوله: إن الله سبحانه فوق السموات.**

وقال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [المُلك: ١٦]**، فالسموات فوقها العرش، وكل ما علا فهو سماء، وليس إذا قال:** ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ **يعني: جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن الله ذكر السموات فقال:** ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نُوح: ١٦] **ولم يرد أنه يملؤهن جميعا؟ وأنه فيهن جميعا، ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله مستو على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش[(١)].**

الشَّرح

○ قوله: **(وقال حكاية عن فرعون...)** تتمة لكلام أبي الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ أنه لما أخبر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فرعونَ أن الله في السماء ـ أي: في

---

(١) هكذا في نسخة القاعدة المراكشية، وفي موضعها من مجموع الفتاوى (٥/ ١٨٧)، وفي الإبانة عن أصول الديانة (ص١٠٧) تتمةٌ للجملة: (كما لا يحطّونها إذا دعوا إلى الأرض).

العلو ـ: طلب فرعون حينئذ من وزيره هامان أن يبني له صرحاً ـ أي بناء عالياً ـ ليُكذِّبَ موسى عليه السلام فيما زعمه وادعاه من أن الله فوق.

وأهل البدع من الجهمية وغيرهم عكسوا معنى الآيات؛ فغيَّروا معناها، وفَهِمُوها فهماً سقيماً، فقالوا: إن فرعون طلب من هامان أن يبني له صرحا؛ وذلك لأنه يُثبت العلو، وفرعون صاحب مذهب باطل، فدل هذا على أن مذهب فرعون هو إثبات العلو، ومذهب فرعون باطل فدل على أن العلو باطل وأن الله ليس في العلو.

قالوا هذا؛ لأنه لو كان في العلو لكان جسماً، وكان متحيزاً، ولكان محدوداً، واعتقاد هذا كفر، فمن أثبت أن الله في العلو كفر عند الجهمية، لأنهم يزعمون أنك إذا أثبتَّ لله العلو جعلته في مكان محدود محصور، وهذا تحقير وانتقاص له!

فبزعمهم الفاسد قالوا: إن الله ذاهب في كل الجهات، فلم يجعلوا له العلو، بل جعلوه في كل مكان، فلذلك قالوا: إن إثبات العلو هو مذهب فرعون، فقد أثبت العلو حين طلب من وزيره هامان أن يبني له صرحا.

وهذا الذي ادعته الجهمية عكسٌ للحقائق؛ لأن فرعون طلب من وزيره هامان أن يبني له صرحاً؛ ليكذِّب موسى عليه السلام في ما أخبره به أن الله على العرش، ولهذا قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غَافر:٣٧]، فكذب فرعونُ موسى عليه السلام في أن الله في السماوات، **فلهذا يقول العلماء**: من أثبت علو الله على خلقه فهو موسوي محمدي، ومن أنكر علو الله على خلقه فهو فرعوني جهمي.

○ قوله: (**وقال الله عز وجل**: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [المُلك: ١٦]) **المراد بالسماء**: العلو، فكل شيء يكون في

العلو فهو سماء إلى ما لا نهاية، والله تعالى له أعلى العلو وهو ما فوق العرش ﷻ.

والمعنى: أأمنتم من في العلو، أأمنتم من فوق العرش **(ألا ترى أن الله ذكر السموات فقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾** [نوح: ١٦] **ولم يرد أنه يملؤهن جميعا)** أي: أن القمر في واحدة من هذه السماوات، وليس في جميعها، ولكن نوره فيهن ولا يلزم من ذلك أن يكون يملؤهن، فكذلك قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾.

○ قوله: **(ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء...)** أي: أن هذه هي الفطرة التي فطر اللهُ الناسَ عليها، لكن أهل البدع الذين أنكروا علو الله على عرشه، قالوا: إن رفع اليدين والرأس إلى السماء ليس لأن الله في العلو، وإنما لأن العادة أن السماء يأتي منها المطر، ويأتي منها كذا وكذا، وإلا لو عُصِبَت عينه، لما رفع يديه إلى السماء، وهذا من تلبيس الجهمية وإلا فهذه فطرة فطر الله الناس وهي أنه فوق، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(لو لا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش)**.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: أن معنى استوى: استولى وملك وقهر وأن الله في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله قادر على كل شيء، والأرض فالله قادر عليها وعلى الحشوش والأخلية.

فلو كان مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء لجاز أن يقال: هو مستو على الأشياء كلها، ولما لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقال: إن الله مستو على الأشياء كلها وعلى الحشوش والأخلية بطل أن يكون معنى الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها)[1].

وقد نقل هذا عن الأشعري غير واحد من أئمة أصحابه كابن فورك والحافظ ابن عساكر في كتابه الذي جمعه في "تبيين كذب المفتري فيما ينسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري،" وذكر اعتقاده الذي ذكره في أول "الإبانة" وقوله فيه.

الشَّرْح

○ قوله: (وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية...)

(١) هكذا في نسخة القاعدة المراكشية، وفي موضعها من مجموع الفتاوى (٥/ ١٨٧)، وفي الإبانة عن أصول الديانة (ص١٠٩) تتمةٌ للجملة: (ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها).

الحرورية هم: الخوارج، سُموا حرورية نسبة إلى بلدة تسمى: حروراء في العراق، تَجَمَّع فيها الخوارج فسُمُّوا بالحرورية.

○ قوله: **(أن معنى استوى: استولى وملك وقهر وأن الله في كل مكان)** هكذا أنكروا معنى الاستواء، والاستواء ـ كما سبق ـ له أربعة معان في اللغة: استقر وعلا وصعد وارتفع، وعليه تدور تفاسير الاستواء عند السلف، فهؤلاء المبتدعة الذين ينكرون معنى الاستواء، يقولون إن معنى استوى: استولى وملك وقهر، وليس معناه أنه: فوق العرش، **وهم حينما أنكروا ذلك، قالوا**: إنه جل وعلا في كل مكان، وهذا هو القول بالحلول، وهو كفر وضلال ـ والعياذ بالله ـ .

○ قوله: **(وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق...)** أما أهل الحق وهم: أهل السنة والجماعة، فقالوا: إن الله على عرشه، أما هؤلاء فجحدوا أن الله في العلو، وذهبوا إلى أن معنى استوى: قهر وملك.

○ قوله: **(فلو كان كما قالوا كان لا فرق بين العرش والأرض...)** **أخذ أبو الحسن** رَحِمَهُ اللَّهُ **في الرد عليهم، فبيَّن**: أنه لو كان معنى استوى: استولى وملك وقهر، **لَمَا كان هذا خاصاً بالعرش**، بل لصح أن يقال: استوى على الأرض، أو استوى على البحر، أو استوى على الدابة، أي: ملك الأرض، وملك البحر، وملك الدابة، ولقيل أيضا: استوى على الحشوش ـ يعني: محل قضاء الحاجة والأخلية ـ وهذا باطل؛ لأن الله قادر على هذه الأشياء جميعها، ولَمَا كان لتخصيص العرش بذلك فائدة، وهذا واضح والحمد لله، فالاستواء خاص بالعرش وهو علو خاص، والمعنى: ارتفع وعلا.

فلما كان جميع المسلمين لا يجوز عندهم أن تقول إن الله مستو على كل شيء، بل إنما تقول: استوى على العرش، بطل بهذا تفسير الجهمية للاستواء بالاستيلاء.

○ قوله: **(وقد نقل هذا عن الأشعري غير واحد...)** بيَّن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن هذا البيان من أبي الحسن الأشعري، وهذه العقيدة التي كتبها، وأنه يثبت استواء الله على عرشه، قد نقلها عنه عدد من أئمة أصحابه، فنقلها ابن فورك وهو من أئمة أصحاب الأشعري، ونقلها أيضاً الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق في كتابه الذي سماه "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري" فألف هذا الكتاب دفاعاً عن أبي الحسن مما نسب إليه مما لم يقله.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين: التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ـ قائلون، ولما خالف قوله مجانبون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال، وأوضح المنهاج به، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مُقَدَّم، وكبير مُفْهَم، وعلى جميع أئمة المسلمين.

وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ) وذكر ما تقدم وغيره من جمل كثيرة أوردت في غير هذا الموضع.

الشَّرْحُ

○ قوله: (فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية...)

أبو الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ يريد أنه **إذا قال قائل**: إن كنتم تنكرون قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فإذن بيِّنوا لنا قولكم ودينكم الذي تدينون به في هذا الباب؟

○ قوله: (قيل له: قولنا الذي به نقول وديانتنا التي بها ندين...) هذا كلام حقٌ من أبي الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ، **فإن ديننا وعقيدتنا**: التمسك بكتاب الله والتمسك بسنة نبيه ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون.

○ قوله: (ونحن بذلك معتصمون وبما كان عليه أحمد بن محمد بن حنبل ـ نضر الله وجهه ـ قائلون) أي: ونقول بقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إمام أهل السنة والجماعة، ودعا له فقال: (نضّر الله وجهه) أي: جعل الله وجهه نَضِراً، كما في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٢] أي: بهِجة بهية ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القِيَامَة: ٢٣] أي: تنظر إلى ربها يوم القيامة، فدعا أبو الحسن الأشعري للإمام أحمد بن حنبل أن يجعل الله وجهه نضراً بهياً حسناً يوم القيامة؛ لعلمه وفضله.

○ قوله: (ولما خالف قوله مجانبون) فبيَّن أنه آخذ بقول الإمام أحمد؛ لأنه إمام أهل السنة والجماعة، مجتنب قول من خالفه.

○ قوله: (لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل) وهذا الوصف فيه مبالغة، فالرئيس الكامل من البشر هو: نبينا محمد بن عبدالله، فهو أكمل البشر ﷺ.

○ قوله: (الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال) **وذلك في**: فتنة القول بخلق القرآن، فثبَّتَ اللهُ الإمامَ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ على الحبس والضرب ـ حتى كان يغمى عليه من ألم الضرب والعذاب ـ، في حين أن أقرانه من الأئمة تأولوا، فثبَتَ رَحِمَهُ اللَّهُ ولم يقل بقول الجهمية.

○ قوله: (إمام مُقَدَّم) أي: يتقدم العلماء لفضله، (وكبير مُفْهَم) يعني: فهَّمَه الله.

○ قوله: (وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله...) أي: نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وذلك مع الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وهذه هي أصول الإيمان، وهذا كله نقله ابن عساكر في كتاب: "تبيين كذب المفتري".

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة: (الذي يذهب إليه أهل العلم: أن الله على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى، وجميع ما في سبع أرضين يرفع إليه أفعال العباد[١].

فإن قال قائل: أيش. معنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] الآية؟ قيل له: علمه، والله على عرشه وعلمه محيط بهم؛ كذا فسره أهل العلم. والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم[٢] وهو على عرشه، هذا قول المسلمين).

الشَّرْحُ

نقل أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة أن الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله على عرشه فوق سماواته؛ كما دلت على ذلك النصوص

(١) هكذا الجملة الأخيرة في نسخة القاعدة المراكشية وموضعها من مجموع الفتاوى (٥/ ١٨٨) والذي في الشريعة للآجرّي (٣/ ١٠٧٦): (وبجميع ما في سبع أرضين وما بينهما وما تحت الثرى، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم الخطرة والهمة، ويعلم ما توسوس به النفوس يسمع ويرى، ولا يعزب عن الله ﷻ مثقال ذرة في السماوات والأرضين وما بينهن، إلا وقد أحاط علمه به فهو على عرشه سبحانه العلي الأعلى ترفع إليه أعمال العباد، وهو أعلم بها من الملائكة الذين يرفعونها بالليل والنهار).

(٢) هكذا في نسخة القاعدة المراكشية وموضعها من مجموع الفتاوى، والذي في الشريعة للآجرّي أن بعد هذه الكلمة اعتراضا وجوابه، ثم قال: (وهو على عرشه، وهذا قول المسلمين ـ بزيادة الواو ـ).

كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله: ﴿۞سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١].

فأهل العلم ـ علماء الشريعة ـ يذهبون إلى ما دلت عليه النصوص، يدورون مع النصوص كيفما دارت، فهم أهل البصيرة والحق، أهل العلم بالله وبأسمائه وصفاته، فالذي دلت عليه النصوص أن الله مستوٍ على العرش، وهو فوق السماوات، وعلمه سبحانه محيط بكل شيء.

○ قوله: **(قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى)** كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢]، فالله محيط بكل شيء.

○ قوله: **(يرفع إليه أفعال العباد)** وهذا يدل على أنه في العلو؛ لأن الرفع يكون من أسفل إلى أعلى.

○ قوله: **(فإن قال قائل: أيش. معنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] الآية؟)** كلمة **(أيش)** نحت من قولهم: أي شيء، مثل ما تسمى كلمة: لا حول ولا قوة إلا بالله: **حوقلة**، وسبحان الله: **سبحلة**، والحمد لله: **حمدلة**.

○ قوله: **(قيل له: علمه، والله على عرشه وعلمه محيط بهم؛ كذا فسره أهل العلم)** **أي**: أن معنى قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ﴾ أي: بعلمه. ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾ أي: بعمله، وهو فوق العرش سبحانه. وفسر العلماء هذه المعية بالعلم؛ لأن الله افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم، فقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا

فِي ٱلْأَرْضِ﴾ فافتتحها بالعلم، ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجَادلة: ٧]، فختمها بالعلم، فدل على أن المعية هنا معية علم، **وهذا ليس من التأويل الباطل**؛ لأن هذا بدلالة سياق الآية نفسها، فليس في الآية حجة للحلولية الذين يستدلون بهذه الآية ويقولون بأن ذاته معهم ـ يعني: إن الله مختلط بالمخلوقات ـ تعالى الله عما يقولون.

فإن نصوص العلو والفوقية تزيد على ألف دليل، وهم قد ضربوا بها عرض الحائط، وأبطلوها بنصوص المعية.

أما أهل السنة والجماعة ـ أصحاب المذهب الحق ـ **فجمعوا بين النصوص**، فأثبوا نصوص العلو والفوقية، وأثبتوا صفة المعية، والمعية لا يلزم منها الاختلاط والامتزاج، وإنما هي لمطلق المصاحبة، فالعرب تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا، وتقول: المتاع معك، وهو فوق رأسك، والإنسان ـ مثلا ـ وهو في الدور الرابع أو السادس يطَّلِع على ابنه يبكي وهو في الأرض ويقول: أنا معك، فيسكت الطفل.

فالمعية في لغة العرب لا تفيد الاختلاط، وإنما تفيد مطلق المصاحبة، فلا تدل على الاختلاط ولا المماسة، فإذا قلنا: الله مع العباد. فمعناه: بعلمه واطلاعه.

○ قوله: **(هذا قول المسلمين)** هذا قول المسلمين قاطبة، أما الحلولية ففسدت فطرتهم، وخرجوا بقولهم عن قول المسلمين.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

والقول الذي قاله الشيخ محمد بن أبي زيد: (وأنه فوق عرشه المجيد بذاته وهو في كل مكان بعلمه) فقد تأوله بعض المبطلين بأن رفع (المجيد)، ومراده أن الله هو المجيد بذاته، وهذا مع أنه جهل واضح فإنه بمنزلة أن يقال: الرحمن بذاته والرحيم بذاته والعزيز بذاته.

الشَّرح

رجع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى قول ابن أبي زيد القيرواني، وقد سبق هذا قبل صفحات، فقد نقل المؤلف عن ابن أبي زيد هذا عندما ذكر ما ذكره السلف أهل السنة من الاعتقاد، وذكر أنه لم يكن من أئمة المالكية من خالف ابن أبي زيد في هذا الاعتقاد الذي ذكره في مقدمة الرسالة، التي ألفها لتُلَقَّن لجميع المسلمين؛ فإنها عند أئمة السنة من الاعتقادات التي يُلقَّنها كلُّ أحد، فالقول الذي قاله الشيخ محمد بن أبي زيد وهو من المالكية بأنه: فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه يعني: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا القول الذي اعتقده السلف، وحكاه ابن أبي زيد، واعتمده: قد حرفه بعض أهل الباطل بأن الله هو: المجيد بذاته.

○ قوله: **(ومع أنه جهل واضح فإنه بمنزلة أن يقال: الرحمن بذاته والرحيم بذاته والعزيز بذاته)** أي: أن هذا التأويل مع كونه باطلا فهو يُفسد المعنى، ومقصود ابن أبي زيد **(فوق عرشه المجيدِ)**

بكسر الدال على أنه صفة للعرش، والذي تأوله برفع الدال، مراده أن تكون وصفا لله، أي: أن الله هو المجيد بذاته.

فالمجيد ـ هو بكسر الدال ـ صفة للعرش، وهذا المبطِل قال برفع الدال ليكون وصفاً لله، فهذا جهل ويفسد به المعنى، ولا يستقيم.

وفي الآية قراءتان مشهورتان: القراءة الأولى: (ذو العرش المجيدُ)، فتكون وصفاً لله، والقراءة الثانية: (ذو العرش المجيدِ) فتكون وصفاً للعرش.

وهذه الآية تختلف عن موضوع كلام ابن أبي زيد رَحِمَهُ اللَّهُ هنا.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد قال ابن أبي زيد في خطبة الرسالة أيضاً:(على العرش استوى وعلى الملك احتوى)، ففرق بين الاستواء والاستيلاء على قاعدة الأئمة المتبوعين، ومع هذا فقد صرح ابن أبي زيد في "المختصر" بأن الله في سمائه دون أرضه، هذا لفظه والذي قاله ابن أبي زيد ما زالت تقوله أئمة السنة من جميع الطوائف.

وقد ذكر أبو عمر الطلمنكي الإمام في كتابه الذي سماه "الوصول إلى معرفة الأصول": (إن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه). وكذلك ذكره محمد بن عثمان بن أبي شيبة حافظ الكوفة في طبقة البخاري ونحوه ذكر ذلك عن أهل السنة والجماعة. وكذلك ذكره يحيى بن عمار السجستاني الإمام في رسالته المشهورة في السنة التي كتبها إلى ملك بلاده. وكذلك ذكر أبو نصر السجزي الحافظ في كتاب "الإبانة" له، قال: (وأئمتنا كالثوري ومالك وابن عيينة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وابن المبارك وفضيل بن عياض وأحمد وإسحاق: متفقون على أن الله فوق العرش بذاته؛ وأن علمه بكل مكان).

وكذلك ذكر شيخ الإسلام الأنصاري وأبو العباس الطرقي والشيخ عبد القادر الجيلي ومن لا يحصي عدده إلا الله من أئمة الإسلام وشيوخه.

الشَّرْح

ابن أبي زيد رَحِمَهُ اللَّهُ في خطبة كتابه: الرسالة، فرَّق بين الاستواء

والاستيلاء، فقال: (على العرش استوى، وعلى الملك احتوى) فقد قال الله في الاستواء: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فالاستواء خاص بالعرش، وأما الاستيلاء فعام لجميع المخلوقات، فالله تعالى ملكها جميعَها وقهرها.

○ قوله: (فقد صرح ابن أبي زيد في "المختصر" بأن الله في سمائه دون أرضه) وكلام ابن أبي زيد هذا ليس خاصاً به، بل يقوله أئمة السنة من جميع الطوائف، فكلهم يقولون مثل ما قال ابن أبي زيد: (أن الله في سمائه دون أرضه) وذلك رداً على الجهمية الذين يقولون: إن الله مختلط بمخلوقاته ـ تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ـ وقد ذكر هذا ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: اجتماع الجيوش الإسلامية[(١)].

○ قوله: (أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله استوى بذاته على عرشه) اضطر العلماء إلى إطلاق كلمة (بذاته) للرد على الجهمية الحلولية الذين أنكروا علو الله على خلقه، ولو لم يتكلم أهل البدع بهذا لما كان هناك حاجة إلى أن يقال: (بذاته) لكن فأهل السنة أرادوا بذكرهم لهذه الكلمة: الرد على أهل البدع الذين أنكروا علو الله بذاته ـ سبحانه ـ.

ـ والمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أكثر من النقول عن الأئمة والعلماء؛ لِيَرُدَّ على الجهمية، وليبيّن أن الجهمية والمعتزلة والأشاعرة قولهم مخالف لقول أهل السنة، ولِما أقره العلماء والأئمة وأهل الحق، فعدَّ مَن قرر مِن أئمة الإسلام وشيوخه، ومن حكى منهم الاتفاق: أن الله مستو على العرش، وأنه فوق المخلوقات بذاته، وأن علمه محيط بكل مكان.

---

(١) انظر: (٢/ ٢٧٩).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني صاحب "حلية الأولياء"، وغير ذلك من المصنفات المشهورة في الاعتقاد الذي جمعه: (طريقنا طريق السلف المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال: ومما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول؛ لم يزل عالما بعلم، بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلما بكلام، وأحدث الأشياء من غير شيء، وأن القرآن كلام الله، وكذلك سائر كتبه المنزلة كلامه غير مخلوق وأن القرآن من جميع الجهات؛ مقروءا ومتلوا ومحفوظا ومسموعا ومكتوبا وملفوظا كلام الله عز وجل حقيقة لا حكاية ولا ترجمة، وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق، وأن الواقفة واللفظية من الجهمية، وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهمي عندهم كافر). وذكر أشياء إلى أن قال: (وأن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله عليه؛ يقولون بها، ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه؛ لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه). وذكر سائر اعتقاد السلف وإجماعهم على ذلك.

وقال يحيى بن عمار في "رسالته": (لا نقول كما قالت الجهمية: أنه مداخل الأمكنة وممازج لكل شيء ولا نعلم أين هو؛ بل نقول هو بذاته على عرشه وعلمه محيط بكل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة

لكل شيء، وهو معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]).

الشَّرْح

○ قوله: (وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني صاحب "حلية الأولياء") فذكر طريقته في الاعتقاد فقال: (طريقنا طريق السلف المتبعين الكتاب والسنة وإجماع الأمة) وذكر أصلا للسلف عظيم في باب صفات الله ﷻ، وأن (مما اعتقدوه أن الله لم يزل كاملا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول) فلم يزل سبحانه متصفا بصفات الكمال.

ثم مثل أبو نعيم رحمه الله على هذا الأصل، فقال: (لم يزل عالما بعلم بصيرا ببصر سميعا بسمع متكلما بكلام) فأثبت لله الاسم والصفة، وهذا قول أهل السنة وهو إثبات الأسماء والصفات، **وفي ذلك**: ردٌّ على المعتزلة الذين ينفون عن الله سبحانه الصفات، فيقولون: إنه عالم بغير علم؛ لأنهم يثبتون الأسماء دون الصفات.

○ قوله: (وأحدث الأشياء من غير شيء) يعني: خلق الأشياء من غير شيء.

○ قوله: (وأن القرآن كلام الله ... من جميع الجهات) **أي**: أن القرآن إذا قرأته فهو كلام الله، وإذا تلوته فهو كلام الله، وإذا حفظته فهو كلام الله، وإذا سمعته فهو كلام الله، وإذا كتبته فهو كلام الله، وإذا تلفظت به فهو كلام الله؛ فالقرآن كلام الله كيفما تصرف، مقروءٌ ومتلوٌّ وملفوظٌ بالألسن، ومحفوظٌ في الصدور، ومسموعٌ بالآذان، ومكتوبٌ في المصاحف، فالقرآن كلام الله؛ لفظه ومعناه.

○ قوله: (وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق، وأن الواقفة واللفظية من الجهمية) **الواقفة هم** الذين يقولون: لا نقول إن القرآن مخلوق أو غير مخلوق، **واللفظية هم** الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، فكلتا هاتين الفرقتين من الجهمية؛ لأنهم خالفوا السلف.

فلا تخصص اللفظ، فتقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فأنت مخلوق بجميع أفعالك، وأيضا كونك تخصص فتقول: إن اللفظ بالقرآن غير مخلوق هذا من البدع؛ لأنه قد يراد باللفظ الملفوظ.

○ قوله: (وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله فهو عندهم من الجهمية) أي: من قال إن المقروء مخلوق، أو قال: الملفوظ مخلوق، أو قال: المحفوظ مخلوق، أو قال: المسموع مخلوق، أو قال: المكتوب مخلوق؛ فهو جهمي.

○ قوله: (وأن الجهمي عندهم كافر) الحكم بالكفر هنا على العموم؛ أما فلان بن فلان الجهمي فلا يُكَفَّر حتى تقوم عليه الحجة، وتنتفي عنه الموانع، فالمعيَّن لا يُكَفَّر؛ فهذا الحكم من التكفير بالعموم، مثل قولهم: من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن أنكر رؤية الله فهو كافر.

ثم قرر أبو نعيم أن السلف رحمهم الله يثبتون الأحاديث التي جاءت في إثبات صفة الاستواء. فقال: (ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل) فلا يقولون: كيف استواء الله؟ ولا يقولون: إن استواء الله مثل استواء المخلوق ـ سبحانه ـ.

○ قوله: (وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه) **أي**: أنه الله سبحانه منفصل عن المخلوقات، ليس بمختلط بها، والمخلوقات منفصلة عنه.

○ قوله: **(لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم) وهذا فيه**: الرد على الجهمية الحلولية ـ كما سيبيِّن يحمى بن عمار ـ.

○ قوله: **(وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه)** فهوسبحانه مستوٍ على العرش، والعرش فوق السماء.

○ قوله: **(لانقول كما قالت الجهمية:...)** فالجهمية الحلولية يعتقدون أن معبودهم داخلٌ في الأمكنة، وممتزجٌ بكل شيء.

○ قوله: **(بل نقول هو بذاته على عرشه وعلمه محيط بكل شيء وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء)** فهو يدرك سبحانه بسمعه، فيسمع المسموعات، ويبصر المبصَرات، ويقْدر على كل شيء ﷻ.

○ قوله تعالى: (﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]) يعني: أن معيته سبحانه هي: بعلمه وإحاطته واطلاعه ونفود سمعه وبصره، أما ذاته ففوق العرش سبحانه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الشيخ العارف معمر بن أحمد "شيخ الصوفية في هذا العصر: (أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة وأجمع ما كان عليه أهل الحديث وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين)؛ فذكر أشياء في الوصية إلى أن قال فيها: (وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تمثيل ولا تأويل، والاستواء معلوم والكيف مجهول؛ وأنه مستو على عرشه بائن من خلقه، والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا ملاصقة، وأنه عز وجل سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء بلا كيف ولا تأويل فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال).

الشَّرْح

○ قوله: (وأن الله استوى على عرشه بلا كيف) فلا نقول كيفية استواء الله كذا أو كذا، فالله أعلم بالكيفية سبحانه.

○ قوله: (ولا تمثيل) فلا نقول إنه كاستواء المخلوق.

○ قوله: (ولا تأويل) كتأويل قوله تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ بالاستيلاء.

○ قوله: (والاستواء معلوم) أي: معلوم معناه في اللغة العربية: استقر، وعلا، وصعد، وارتفع.

○ قوله: **(والكيف مجهول)** أي: كيفية استواء الرب سبحانه مجهولة لا نعرفها.

○ قوله: **(وأنه مستو على عرشه بائن من خلقه)** خلافاً للجهمية الذين يقولون: إنه مختلط بالمخلوقات.

○ قوله: **(وأنه ﷻ سميع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء بلا كيف ولا تأويل)** هذا قول أهل السنة في هذه النصوص الواردة في الكتاب والسنة، مثل: سميع، بصير، عليم، خبير، وغيرها من الصفات التي أثبتها الله لنفسه ككونه: يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويأتي لعباده ضاحكا، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء، فلا نُكيِّف شيئا من صفاته، بل نقول: الله أعلم بكيفياتها، فلا نُؤوِّل ولا نُعطِّل؛ **(فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال)** لأنه مخالف لأهل السنة والجماعة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني النيسابوري في كتاب الرسالة في السنة له: (ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن الله فوق سبع سمواته على عرشه كما نطق به كتابه وعلماء الأمة وأعيان سلف الأمة؛ لم يختلفوا أن الله تعالى على عرشه وعرشه فوق سمواته).

قال: (وإمامنا أبو عبدالله الشافعي احتج في كتابه "المبسوط" في مسألة إعتاق الرقبة المؤمنة في الكفارة وأن الرقبة الكافرة لا يصح التكفير بها بخبر: معاوية بن الحكم وأنه أراد أن يعتق الجارية السوداء عن الكفارة؛ وسأل النبي ﷺ عن إعتاقه إياها فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا فقال لها: "أين ربك؟" فأشارت إلى السماء فقال: "أعتقها فإنها مؤمنة" فحكم بإيمانها لما أقرت أن ربها في السماء وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية).

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: (باب القول في الاستواء، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٥٠]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] وأراد: من فوق السماء؛ كما قال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه: ٧١] بمعنى: على جذوع النخل. وقال: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [التوبة: ٢] أي: على

الأرض، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات. فمعنى الآية: أأمنتم من على العرش، كما صرح به في سائر الآيات).

قال: (وفيما كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية: أن الله بذاته في كل مكان، وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] إنما أراد بعلمه لا بذاته).

الشَّرْح

○ قوله: (فامتحنها ليعرف أنها مؤمنة أم لا؟ فقال لها: أين ربك؟ فأشارت إلى السماء، فقال: "أعتقها فإنها مؤمنة") خبر معاوية ابن الحكم السلمي في صحيح مسلم، ونصُّه أنه رضي الله عنه قال: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ، آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «**ائْتِنِي بِهَا**»فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»[1]. فرسول الله ﷺ (حكم بإيمانها لما أقرت أن ربها في السماء، وعرفت ربها بصفة العلو والفوقية) وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى فوق العرش فوق السماوات في العلو، وهذا هو الحق، وهو قول أهل السنة قاطبة كما دلت عليه النصوص.

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٣٧).

○ قوله: **(وقال الحافظ أبو بكر البيهقي)** هذا نَقْلٌ عن الإمام البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو شافعي المذهب، وقد يؤول بعض الصفات على طريقة الأشاعرة، لكنه رَحِمَهُ اللَّهُ لا يلتزم بمذهب الأشاعرة، ومع ذلك نقل هذه النقول التي تثبت أن الله فوق السماوات مستو على عرشه، **ويريد بذلك**: أن يستدل بهذه النصوص على أن الله مستو على عرشه فوق مخلوقاته.

○ قوله تعالى: (﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]) **في هاتين الآيتين**: إثبات اسواء الله على عرشه، وعلوه على خلقه.

○ قوله تعالى: (﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]) **في هاتين الآيتين**: إثبات الفوقية لله عَزَّوَجَلَّ.

○ قوله تعالى: (﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]) **فيه**: إثبات العلو؛ لأن الصعود يكون من أسفل إلى أعلى.

○ قوله تعالى: (﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]) ﴿فِى﴾ للظرفية، **والمراد بالسماء**: العلو، أي: أأمنتم من في العلو، وهو الله، فهو سبحانه فوق العرش.

○ قوله: **(وأراد: من فوق السماء)** إن أريد بالسماء: الطباق المبنية، فتكون ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾بمعنى: من على السماء، وإن أريد بالسماء: العلو، فتكون ﴿فِى﴾: للظرفية، على بابها.

ـ ﴿فِى﴾ تأتي بمعنى: (على)؛ فقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] بمعنى: على جذوع النخل، فليس المراد: أنه يشق الجذوع ويدخلهم فيها.

○ وقوله سبحانه: (﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢]) بمعنى: على الأرض، أي: سيحوا على الأرض، فليس معناه: احفروا الأرض وادخلوا فيها.

○ قوله: **(وكل ما علا فهو سماء)** كل شيء فوق رأسك يُسمَّى سماء، والله له أعلى العلو، وهو: فوق العرش، **(والعرش أعلى السموات)**.

○ قوله: **(قال: وفيما كتبنا من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية: أن الله بذاته في كل مكان)** هذا قول الجهمية يقولون: إنه مختلط بالمخلوقات، حتى أنهم قالوا: إنه في بطون السباع، وفي أجواف الطيور، وفي كل مكان تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

○ قوله: **(وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾** [الحديد: ٤]، إنما أراد بعلمه لا بذاته) فقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أي: بعلمه لا بذاته، وذاته فوق العرش.

وقد نقل المؤلف هذه النقول حتى يبين أن الأئمة والعلماء من جميع الطوائف، كلهم يثبتون العلو والفوقية، خلافاً لمذهب الجهمية النفاة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو عمر بن عبد البر في "شرح الموطأ" لما تكلم على حديث النزول قال: هذا حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته وفيه دليل أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات؛ كما قالت الجماعة؛ وهو من حجتهم على المعتزلة قال: وهذا أشهر عند الخاصة والعامة وأعرف من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد؛ ولا أنكره عليهم مسلم.

الشَّرْح

○ قوله: (وقال أبو عمر بن عبدا لبر في شرح الموطأ لما تكلم على حديث النزول) وهذا النقل عن أبي عمر بن عبد البر النمري المالكي في شرح الموطأ ـ أي: التمهيد، وهو كتاب عظيم ـ لما تكلم على حديث النزول: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[(١)] قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا حديث لم يختلف أهل الحديث في صحته)[(٢)]؛ لأنه من الأحاديث المتواترة، وهو مروي في الصحاح والسنن والمسانيد.

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة، البخاري في كتاب الجمعة، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم في كتاب صلاة المسافر وقصرها، رقم (٧٥٨).

(٢) انظر: التمهيد (٧/ ١٢٧).

○ قوله: **(وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات)** الدليل مستفاد من معنى النزول نفسه، لأن النزول إنما يكون من أعلى إلى أسفل.

وهذا النزول لا نعلم كيفيته، بل الله أعلم بكيفيته، وهو فعل يفعله سبحانه كما يليق بجلاله وعظمته؛ فالحديث فيه: إثبات العلو وفيه: إثبات النزول أيضا.

○ قوله: **(كما قالت الجماعة)** أي: كما قال أهل السنة والجماعة.

○ قوله: **(وهو من حجتهم على المعتزلة)** أي: أن هذا الحديث ـ حديث النزول ـ من حجج أهل السنة على المعتزلة في إنكارهم لعلو الله على المخلوقات، واستوائه على العرش، وكذلك هو من حججهم على الجهمية، فإنه قال فيه: "يَنْزِلُ" وذلك يدل على أنه فوق عرشه ﷻ، فدل على أنه العلو.

○ قوله: **(قال: وهذا أشهر عند الخاصة والعامة)** بيَّن رَحِمَهُ اللَّهُ أن علوَّ الله مشهور ومعلوم، عند الخاصة والعامة **(وأعرف من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته)** يعني: لا يحتاج إلا أن تقرأ الآية وأن تقرأ الحديث فقط: قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، والأحاديث كثيرة؛ مثل: حديث الجارية، وحديث: «**أَلَا تَأْمَنُونِي؟ وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً**» فيكفي في هذا المقام مجرد القراءة، فإنك إذا قرأت النصوص في هذا الباب، فهمت المعنى.

والخلق مضطرون إلى إثبات أن الله في العلو (اضطرار لم يُوقفهم عليه أحد) يعني: لم يخبرهم به ويطلعهم عليه أحد، أو يلزمهم بذلك، بل الله تعالى فطرهم على ذلك، فطرهم على أنه في العلو، فوق السماوات، مستوٍ على العرش.

وليس الإنسان وحده مفطورا على هذا، بل الدواب كذلك؛ ومما يدل على كونه أمرا فطريا، أنه إذا أصاب الإنسانَ ضائقةٌ رفع رأسه إلى السماء، وحينما يؤذيه أحد يبادر برفع رأسه ويقول: يا الله! هذا معنى اضطراري يجده الإنسان في نفسه، لأن الله فطرهم على ذلك ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرُّوم: ٣٠] وكذلك إذا أصاب الدابة شيء رفعت رأسها إلى السماء؛ اضطرارا.

○ قوله: (ولا أنكره عليهم مسلم) ولا أنكر عليهم مسلم حينما يرفعون أيديهم إلى السماء ويطلبون الله في العلو، بل المسلمون مفطورون على ذلك، وهذا علمٌ اضطراري يجدونه في نفوسهم، فطرهم الله عليه، ولا ينكره عليهم أحد من المسلمين.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو عمر أيضا: (أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجَادلة: ٧]، هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله). فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف؛ إذ لم ينقل عنهم غير ذلك؛ إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

الشَّرْح

بين ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ حاكيا إجماع الصحابة وعلماء التابعين أن المراد بقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجَادلة: ٧] أي: بعلمه، وأن ذاته سبحانه فوق العرش.

فإذا قال قائل: أنتم أوَّلتم الآية بالعلم، فكيف تؤولونها بذلك، وأنتم تمنعون التأويل؟!

فنقول: نحن ما أوَّلنا؛ بل فسرناها بذلك؛ لأن الله تعالى افتتح الآية بالعلم، وختمها بالعلم، فقال كما في أولها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، وفي آخرها: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجَادلة: ٧]، فافتتح الله الآية بالعلم، وختمها بالعلم، فدل على أنها معية علم، ولهذا حكاه أبو عمر ابن عبدالبر إجماعا، ولم ينقله عن الاثنين، أو الثلاثة أو العشرة، بل هو إجماع من العلماء الصحابة

والتابعين وغيرهم.

فإذا قال ـ شاذ من المتأخرين ـ: إن المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ أن الله مختلط بالمخلوقات ـ تعالى الله عن ذلك ـ.

فنقول: هذا قول كفري مبتدَع، مخالف للنصوص والإجماع، ومخالف أيضا للغة العربية.

فإذا قال: ما قلتُه هو مقتضى اللغة العربية؛ لأن **(مع)** في قوله: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ تفيد الامتزاج والاختلاط، وهذا أصل معناها في اللغة.

فنقول: لا، لقد كذبت؛ فليست هذه لغة العرب، فإن المعية في اللغة لا تفيد الاختلاط ولا الامتزاج ولا المحاذاة ولا المماسة، **المعية في لغة العرب**: لمطلق المصاحبة؛ فقولهم: (فلان مع القوم) لا يلزم أن يكون مختلطاً بهم، فقد يكون معهم مثلاً: برأيه، أو بتأييده، أو بنصرته، وأيضا قولهم: (الأمير مع الجيش) والجيش بينه وبين الأمير مسافات، فمرادهم: أنه معهم بتدبير الجيش، ومتابعته، وأيضا قولهم: (فلان زوجته معه) وهي في المشرق وهو في المغرب، فمرادهم: أنها في عصمته. وتقول العرب: (ما زلنا نسير والقمر معنا) (ما زلنا نسير والنجم معنا).

فالمقصود: أن كلمة المعية لا يلزم منها الاختلاط والامتزاج.

فإذا أتى الجهمية وقالوا: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يدل على أن الله مختلط بالمخلوقات، فإن المعية تفيد الاختلاط، والامتزاج، وأبطلوا نصوص العلو والفوقية، التي تزيد أفرادها على ألف دليل، وضربوا بها عرض الحائط، وقالوا: هذه كلها باطلة، من جهة ما أفادته معانيها الظاهرة، وضربوا نصوص الفوقية واستواء الله على عرشه، بنصوص المعية، **فنقول لهم**: إذن

فقد آمنتم ببعض النصوص وكفرتم ببعض، والواجب أن تُعملوا الاثنين، كأهل السنة الذين وفقهم الله فعملوا بالنصوص من الجانبين، عملوا بنصوص الفوقية والاستواء، وأثبتوا فوقية الله على خلقه واستواءه على عرشه، **وقالوا: المعية نوعان:**

الأول: معية عامة للمؤمن والكافر؛ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، أي: معكم بعلمه وإحاطته واطلاعه؛ وهذه المعية العامة **تأتي في سياق المحاسبة والمجازاة والتخويف،** ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أي: معية عامة، وهي التي في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧] هذا للتهديد، ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النِّساء: ١٠٨]، **فهذه أيضا معية عامة.**

الثانية: معية خاصة بالمؤمنين، فالأنبياء والرسل والمتقون والصابرون لهم معية خاصة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طـــه: ٤٦]، ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النّحل: ١٢٨].

والمعية الخاصة تأتي في سياق: المدح والثناء، **وتقتضي:** التوفيق والتسديد والتأييد.

○ قوله: **(فهذا ما تلقاه الخلف عن السلف)** فالخلف المتأخرون تلقوا هذا الدين وهذا العلم عن السلف المتقدمين؛ تلقاه الأصاغر عن الأكابر، تلقاه المتأخرون عمن تقدمهم، عن التابعين،

عن الصحابة رضوان الله عليهم.

○ قوله: **(إذ لم ينقل عنهم غير ذلك)** أي: لم يُنقل عنهم شيء يخالف ما دلت عليه النصوص من إثبات علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه؛ وذلك كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(إذ هو الحق الظاهر الذي دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية)** والحمد لله، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

خاتمة

فنسأل الله العظيم أن يختم لنا بخير ولسائر المسلمين وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ؛ بمنه وكرمه إنه أرحم الراحمين، والحمد لله وحده.

الشَّرْح

ختم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الرسالة بهذا الدعاء بالثبات وحسن الخاتمة.

وقد نقل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ النصوص الكثيرة؛ لبيان بطلان مذهب المؤوِّلة للصفات والنفاة لها، ولتقرير أن له سبحانه صفات الكمال، والعلو المطلق بذاته تعالى، وأن أهل البدع من المعتزلة والجهمية لم يتلقوا ذلك عن السلف، وليس في أيديهم نقل ثابت عنهم في هذا الباب، ولم يفهموا نصوص الكتاب والسنة، وضربوا بها عرض الحائط، وقالوا قولاً مختلقاً، وإنما هم أعاجم لا يفهمون اللغة العربية، ولا يفهمون النصوص، وتكلموا بالكلام الكفري، فلذلك قام العلماء بنصر دين الله وكتابه وسنة نبيه ﷺ وردوا عليهم وألفوا المؤلفات، **ومنهم**: شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فإن له في ذلك المصنفات المشهورة والرسائل العديدة، **ومنها**: هذه القاعدة التي يسر الله شرحها.

ونسأل الله أن يثبتنا على الهدى، وأن يتوفانا مسلمين غير مبدلين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	٥
سبب تأليف الرسالة:	٧
عادة المؤلف افتتاح الرسائل بالحمدلة:	٩
كل اسم من أسماء الله مشتمل على صفة:	١٠
الإقرار والتسليم بماء جاء به النبي ﷺ هو حقيقة شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ:	١٢
(لو) حرف امتناع لامتناع:	١٢
الرسول ﷺ معصوم من الشرك:	١٢
الرسول ﷺ معصوم عن التقول والكذب:	١٣
معلوم بالاضطرار من دين الإسلام: الإقرار بما جاء به النبي ﷺ وهو: الكتاب والسنة:	١٤
العلم الضروري هو:	١٤
من لم يصدق بما في القرآن والسنة فليس بمؤمن:	١٥
الحكمة هي: السنة:	١٥
من طاعته ﷺ تصديقه في أخباره:	١٥
لا يكفي الشخص أن يُحكّمه ﷺ في موارد النزاع، بل لابد أن لا يكون في صدره حرج:	١٥
المسائل المتنازع فيها ترد إلى الله وإلى الرسول ﷺ:	١٦
الرد إلى الله هو:	١٦
الرد إلى الرسول ﷺ هو:	١٦
مما جاء به الرسول ﷺ مما يجب الإيمان به::	١٧
١- رضاه السابقين ومن اتبعهم بإحسان:	١٧

الموضوع | رقم الصفحة

٢- إخباره بأن الدين كامل: ١٨
٣- أمر الله له بالبلاغ المبين، وقد بلغ: ١٨
من المعلوم من دين الإسلام أنه ﷺ معصوم من كتمان شيء: ٢٠
الدين لم يعرف إلا بتبليغه ﷺ: ٢٠
لو كان قد كتم شيئا مما أمر بتبليغه لكان مناقضا لموجب الرسالة: ٢١
الموجَب هو: الثمرة والنتيجة: ٢٢
الموجِب هو: المقتضى والسبب: ٢٢
من قال: إنه ﷺ كتم شيئا مما أمر بتبليغه فقد كفر: ٢٢
هل يكن أن يكون ﷺ ترك الأسماء والصفات ولم يبينها؟ ٢٣
السابقون الأولون ومن تبعهم بإحسان صدقوه فيما أخبر من الأسماء والصفات: ٢٣
الوجوه التي تدل على أن العناية بالمعنى أولى وأوكد من العناية باللفظ: ٢٥
القرآن أنزل للعمل به، ولا يمكن العمل به إلا بفهم المعنى: ٢٦
الرسول ﷺ يرغب أن يفهم الصحابة معاني القرآن أعظم من رغبته في تعليمهم حروفه وألفاظه: ٢٦
اللفظ يُتوصل به إلى فهم المعنى: ٢٧
التدبر يتطلب معرفة المعنى: ٢٨
إذا كان الله ذك الكافرين في عدم تدبر القرآن فكيف الحال بالمؤمنين: ٢٩
الاستواء له أربعة معان في العربية: ٢٩
هل يمكن أن تكون المعاني غير معروفة والله قد يسّر القرآن: ٣٠
لو كان المؤمنون لا يفقهون القرآن لكانوا مشاركين للكفار والمنافقين فيما ذمهم الله به: ٣١
لعل من الله ليست للترجي وإنما للتعليل: ٣١
﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ العقل إنما يكون بفهم معاني الألفاظ: ٣٢
المؤمنون منَّ الله عليهم بالإيمان فدل على أنهم يفهمون ويفقهون المعنى: ٣٣

شبَّه الله الكفار في عدم فهم المعنى بالغنم: ٣٤
الكفار في أمور دنياهم يسمعون جيدا، لكن في أمور دينهم لا يسمعون سماع قبول: ٣٥
الكفار لا يرون الحق ولا يبصرونه وإن كان يرون ويبصرون أمور دنياهم: ٣٥
الكفار كالأنعام يعيشون ويسعون لأمور دنياهم: ٣٥
من قال: إن الصحابة لايفهمون المعنى فقد شبههم بالكفار: ٣٦
الصحابة فسروا القرآن للتابعين: ٣٧
تفسيرهم له دليل على أنهم يفهمون المعنى: ٣٨
الاختلاف الثابت عن الصحابة وأئمة التابعين لا يخرج عن وجوه ثلاثة: ٤١
الوجه الأول: أن يعبر كل واحد منهم عن الاسم بعبارة غير عبارة صاحبه: ٤١
أسماء الله كلٌّ منها مشتمل على صفة: ٤١
أسماء الرسول ﷺ عدة بمعاني مختلفة: ٤١
كذلك القرآن: ٤٢
كذلك السيف: ٤٢
كذلك الأسد: ٤٢
مثال: كلام العلماء في تفسير الصراط المستقيم: ٤٣
الوجه الثاني: أن يذكر كل واحد منهم من تفسير الاسم بعض أنواعه: ٤٥
فقصدهم بيان المعنى لا الحصر: ٤٦
من أمثلة ذلك تفسير: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾: ٤٦
الظالمون لأنسهم تحت مشيئة الله، إما أن يعفو عنهم وإما أن يعذبهم: .. ٤٧
فقد يعذب في قبره: ٤٧
وقد تصيبه الشدائد: ٤٧
وقد يعفو الله عنه: ٤٧

الموضوع	رقم الصفحة
وقد يكون مستحقا لدخول النار لكن يُشفع فيه:	٤٧
وقد يدخل النار ولا يُخلّد فيها:	٤٨
لابد أن يدخل النار جملة من أهل الكبائر:	٤٨
المعاصي ولو كثرت فإنها لا تقضي على الإيمان:	٤٨
المعاصي ولو كثرت لابد أن يبقى معها شيء من الإيمان يخرج به صاحبه من النار:	٤٨
• مسألة: هل يجوز للإنسان أن يتصدق بماله كله؟	٤٩
الوجه الثالث: أن يذكر أحدهم لنزول الآية ويذكر الآخر سببا آخر لا ينافي الأول:	٥١
الاختلاف نوعان:	٥١
اختلاف التنوع ليس مذموما:	٥٤
اختلاف التضاد والتناقض مذموم:	٥٤
ما اتفق عليه الصحابة وتابعوهم بإحسان يجب اتباعه:	٥٥
يجب علينا اتباع ما ثبت عن النبي ﷺ، ونؤمن به، ونعتقد أن معناه حق:	٥٦
كل هذا مقدمة ليبين المؤلف أن القرآن معروف المعنى للصحابة والتابعين:	٥٧
فصل في الجواب عن سؤال السائل:	٥٨
الوجه الأول في تبيين وجوب الإقرار بالإثبات وعلو الله:	٥٨
دل على علو الله أنواع من الدلالات:	٥٩
من أنواع الأدلة على علو الله:	٦١
النوع الأول:	٦١
النوع الثاني:	٦٢
النوع الثالث:	٦٢
النوع الرابع:	٦٣
النوع الخامس:	٦٤
النوع السادس:	٦٤
النوع السابع:	٦٤

النوع الثامن: ٦٤
النوع التاسع: ٦٥
جعل العندية من المعاني العامة لا يصح: ٦٧
ذكر المؤلف ستة أنواع من الأدلة: ٦٧
ذكر ابن القيم ما يقرب من واحد وعشرين نوعا: ٦٧
المعتزلة والجهمية أنكروا علو الله وقالوا: إنه مختلط بالمخلوقات: ... ٦٧
الثابت عن أبي الحسن الأشعري وابن كلاب: إثبات العلو: ٦٨
النفاة عارضوا نصوص العلو بنصوص المعية: ٦٨
المعية لمطلق المصاحبة: ٦٨
الطائفة الثانية من الجهمية: أنكروا العلو، وسلبوا النقيضين: ٦٩
وصف الله بسلب النقيضين أشد من سلب الصفات عنه: ٦٩
قاعدة عند العقلاء: لا يجوز سلب النقيضين عن الشيء: ٦٩
النقيضان: الوصفان اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان: ٦٩
أهل السنة أثبتوا العلو بأنواعه الثلاثة: ٧٠
النزاع بينهم وبين أهل السنة في علو الذات: ٧٠
الذي يثبت العلو لله يسمونه الجهمية: كافر: ٧١
قول النفاة يتضمن اتهام الرسول ﷺ: ٧٢
لو كان نفي الصفات هو الحق، فمعلوم أن القرآن لم يبين ذلك قط: . ٧٤
لا يظن أحد أن الجهمية غير موجودين: ٧٥
كل المذاهب موجودة في هذا العصر: ٧٥
الأمور اللازمة عن نفي الصفات: ٧٦
مذهب الجهمية والمعتزلة اتباع لغير سبيل المؤمنين: ٧٧
أهل البدع التمسوا لنصوص الصفات أنواع التأويلات الباطلة: ٧٨
أهل البدع يقولون: المراد المعنى المجازي، والذي دلنا على ذلك العقل؛ لأننا لو حملناه على ظاهره لكانت متضمنة للكفر: ٨٠
بين المؤلف أنه لو كان المراد المعنى المجازي: ٨١
معلوم باتفاق العقلاء أن المخاطب المبيِّن إذا تكلم بالمجاز فلابد أن يقرن بخطابه ما يدل على إرادة المعنى المجازي: ٨٢

ليس في كلام السلف أن المراد بالنصوص نفي الصفات، بل طريقتهم أنهم لا يتكلمون إلا بالإثبات: ٨٤
ولو كان مرادهم النفي لتكلموا به ولأظهروه: ٨٥
النفاة يقولون: الله وكلَنا إلى عقولنا: ٨٦
الجهمية طائفتان: ٨٦
أول من تكلم بنفي الصفات هو: الجعد بن درهم: ٨٧
قتل الجعدَ: خالدُ القسري: ٨٨
قبل أن يُقتل الجعد بن درهم اتصل به الجهم بن صفوان: ٨٨
اتصل الجهم أيضا بغير الجهم، من الصابئة والكفار: ٨٨
قتل الجهمَ: سلم بن أحوز: ٨٨
تقلد المعتزلة عقيدة الجهم وكذلك الأشاعرة فصار عندهم نوع تجهم: ... ٨٩
يقال للمعتزلة والأشاعرة: جهمية المتكلمين: ٨٩
الجهمية المتفلسفة أشد من الجهمية المتكلمة: ٨٩
أصل الفسلسفة: ٨٩
الفلاسفة المتكلمة والمتفلسفة كل منهم: ملاحدة: ٩٠
الفلاسفة هم: الحكماء في كل أمة: ٩٠
الذين اشتهروا هم: فلاسفة اليونان المأخرون: ٩٠
وزعيمهم: أرسطو طاليس: ٩٠
ثم جاء المعلم الثاني: أبونصر الفارابي: ٩٠
ثم جاء المعلم الثالث: أبوعلي ابن سينا: ٩٠
ابن سينا هو الذي حاول أن يقرب الفلسفة من الإسلام: ٩٠
اللاسفة قبل أرسطو: يعظمون الشرائع والإلهيات ويثبتون الصفات: ... ٩٠
أرسطو أول من قال بقدم العالم: ٩٠
القول بقدم العالم معناه: إنكار وجود الله: ٩٠
القرامطة فرقة باطنية: ٩١
القرامطة نسبة إلى: قرمط بن حمدان: ٩١
القراطة ملاحدة: ٩١
الملاحدة يقولون: إن الرسل كذابون: ٩٢

أجمع المسلمون أن القرامطة أكفر من اليهود والنصارى: ٩٣
الرد على القرامطة من وجهين: ٩٣
كلام السلف كله إثبات للأسماء والصفات، وإثبات للجنة والنار، على عكس مذهب النفاة: ٩٤
جمع علماء الحديث من النقول عن السلف في الإثبات ما لا يحصيه إلا رب السماوات: ٩٥
أبو إسماعيل الهروي له مواقف مشكورة ضد النفاة: ٩٦
المؤلف ذكر الهروي لأنه معروف بإثبات الأسماء والصفات: ٩٦
حديث يستدل به النفاة وهو باطل؛ في سنده رافضي: ٩٧
• الخلاصة: ٩٧
ومنهم من يتمسك بعمومات مجملة توضحها النصوص الأخرى: .. ٩٨
مثال المجمل الذي هو كذب: ٩٨
جوابه من وجهين: ٩٩
• الخلاصة: ٩٩
مثال المجمل الذي هو صدق: ١٠٠
جوابه أنه جاء مفسَّرا: ١٠٠
الثابت المحفوظ عن أبي هريرة رضي الله عنه: ١٠١
لم ينقل عن أبي هريرة حرف واحد من جنس قول النفاة: ١٠٢
بهذا انتهى الرد على الجهمية المتفلسفة: ١٠٢
طريقة الجهمية المتكلمة: ١٠٣
الجواب الأول على أن القرينة الصارفة هي: العقل: ١٠٤
لوازم قول الجهمية المتكلمة: ١٠٤
الجواب الثاني على أن القرينة الصارفة هي: العقل: ١٠٥
المقدم هو الأظهر على الأخفى بلا شك: ١٠٧
الأحوال التي يتصورها العقل تجاه الرسول ﷺ ثلاثة: ١٠٨
السمع هو: الدليل من الكتاب والسنة: ١١٠
الأدلة من الكتاب والسنة توافق العقل: ١١٠
العقل الصريح يوافق النقل الصحيح: ١١١

الموضوع	رقم الصفحة
النفاق هو:	١١١
صار المنافقون يُسمَّون: الزنادقة:	١١٢
ثم صاروا يّسمَّون في زمننا: علمانيين:	١١٢
الجواب الثالث على أن القرينة الصارفة هي: العقل:	١١٣
العقل الصريح هو:	١١٣
النفاة الملاحدة يكفرون بالشرخ ويخالفون العقل:	١١٥
النفاة مع أئمتهم شبههم بقوم فرعون في اتباعهم فرعون:	١١٦
الأئمة نوعان:	١١٦
الملاحدة النفاة إمامهم فرعون:	١١٧
الصواب أن الإسراء والمعراج في ليلة واحدة:	١٢٠
الإسراء هو:	١٢٠
البراق هو:	١٢١
المعراج كهيئة السُّلَّم:	١٢١
من كذب إسراء النبي ﷺ فقد كفر:	١٢١
بعض الملاحدة ينكرون المعراج:	١٢١
المعراج دليل على أن الله في العلو:	١٢٢
فرعون أنكر الرب وأنكر العلو، والجهمية يوافقونه:	١٢٣
إبراهيم رزقه الله ابنين:	١٢٣
اليهود والنصارى هم أبناء العم مع العرب:	١٢٤
الوجه الثاني في تبيين وجوب الإقرار بالإثبات وعلو الله:	١٢٥
معرفة ما يستحقه الله وما يُنزه عنه من أجل الأمور:	١٢٥
من المستحيل أن يكون الدين قد كمل والرسول ﷺ قد بين لأمته، والناس لا يدرون بماذا يعرفون ربهم:	١٢٦
الوجه الثالث في تبيين وجو الإقرار بالإثبات وعلو الله:	١٢٧
إذا عزم الإنسان على فعل شيء وأراد تحقق مراده، فلا بد أن يتحقق فيه أمران:	١٢٩
الصحابة عندهم إرادة جازمة لمعرفة ما يتصف به الرب:	١٢٩
المعتزلة فسروا الرؤية بمزيد العلم:	١٣١

الرد عليهم: ١٣١
الأشاعرة أثبتوا الرؤية ونفوا الجهة: ١٣١
أهل السنة أثبتوا الرؤية والجهة: ١٣٢
الوجه الرابع في تبيين وجو الإقرار بالإثبات وعلو الله: ١٣٣
بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن لهم عبارات مبتدعة وألفاظ مجملة: ١٣٤
فلا بد أن يستفسر منه عن المعنى: ١٣٤
مؤدى قول النفاة أنه ليس فوق السماوات رب: ١٣٤
الجهمية تجعل أصل الدين: نفي الصفات: ١٣٦
فالتوحيد عندهم هو: نفي الصفات: ١٣٦
المعتزلة من أصولهم: التوحيد، وستروا تحته: : ١٣٧
العلم نوعان: ضروري، ونظري: ١٣٧
العلم الضروري هو: ١٣٨
العلم النظري هو: ١٣٨
على قول أهل الإثبات يكون الدين كامل: ١٣٩
على قول النفاة يكون الدين غير كامل: ١٣٩
الكتاب والسنة يصدق بعضه بعضا: ١٤٠
السلف خير هذه الأمة وطريقهم أفضل الطرق: ١٤٠
القرآن كله حق ليس فيه إضلال، ولا دل على كفر ومحال: ١٤٠
القرآن هو الشفاء والهدى والنور: ١٤٠
من المعلوم أن الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة: ١٤٠
ذم الله الحيرة: ١٤٠
أهل البدع قالوا بأن ظواهر النصوص كفر، فلا بد أن نؤول: ١٤١
الجهل نوعان: بسيط، ومركب: ١٤٢
الصراط المستقيم: علم وعمل: ١٤٣
(زدني تحيرا) كذب باتفاق أهل العلم: ١٤٤
لوازم قول الواقفة: ١٤٤
اللازم الأول: ١٤٤
قول الواقفة يؤول حقيقة إلى النفي: ١٤٥

الموضوع | رقم الصفحة

اللازم الثاني: ١٤٦
ملخص اللازم الثاني: ١٤٦
اللازم الثالث: ١٤٧
الشك والحيرة ليست محمودة في نفسها باتفاق المسلمين: ١٤٧
اللازم الرابع: ١٤٨
اشتهر الجهم بأربع عقائد خبيثة: ١٤٨
للاستواء أربعة معان تدور عليها تفاسير السلف: ١٥١
الله استوى على العرش وهو غير محتاج إليه: ١٥١
غالب المشبّهة من غلاة الشيعة البيانية: ١٥٢
قول الإمام مالك أنبل جواب، وأشده استيعابا: ١٥٢
تلقى الناس قول مالك بالقبول فليس أحد من أهل السنة ينكره: ... ١٥٢
قول مالك يجاب به في جميع الصفات: ١٥٣
المالكية وغير المالكية نقلوا عن مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان: ١٥٦
قول مالك مروي عن ربيعة وعن أم سلمة: ١٥٧
قول عبدالعزيز الماجشون: ١٥٧
كلام المالكية في ذم الجهمية مشهور: ١٥٩
حتى عن علماءهم حكوا إجماع أهل السنة أن الله فوق العرش: ... ١٥٩
كلمة (بذاته) في وصف علو الله، لم ترد في الكتاب والسنة، ومقصود أهل العلم في إيرادها: الرد على الجهمية: ١٦٠
ابن أبي زيد المالكي ذكر علو الله، ولم يخالفه أحد من أئمة المالكية: ١٦٠
ابن أبي زيد ذكر علو الله في مقدمة كتابه: الرسالة؛ لتلقن لجميع المسلمين: ١٦٠
مقدمة ابن أبي زيد تمثل عقيدة أهل السنة والجماعة: ١٦١
ابن أبي زيد لم يرد عليه أحد من أهل السنة إنما من أهل البدع: .. ١٦١
من خالف ابن أبي زيد من الجهمية والمعتزلة اعتمدوا عقولهم: ١٦١
سلف الأمة وأئمتها متفقون على الإثبات: ١٦٢

قول الإمام مالك: ١٦٢
قول سفيان الثوري: ١٦٢
الأصل في إنكار الصفات أنه مأخوذ عن الجهمية والمعتزلة: ١٦٢
الأشاعرة وإن أثبتوا سبع صفات تلقوا هذا الإنكار عن أشياخهم من المعتزلة والجهمية: ١٦٣
السلف يردون على طائفتين: على النفاة، وعلى الواقفة: ١٦٣
قول الأوزاعي: ١٦٣
القه الأكبر هو: ١٦٣
الفقه الأصغر هو: ١٦٣
الفقه في الدين نوعان: ١٦٤
أبو حنيفة وأبو مطيع صنفا في الأسماء والصفات: الفقه الأكبر: .. ١٦٤
أبو حنيفة كفر من يقول: لا أعرف؛ ربي في السماء أو في الأرض: ١٦٤
حتى ولو قال: إنه استوى على العرش، ولا يدري أين العرش: ١٦٤
كلام الجهمية يدور على إنكار وجود الله: ١٦٥
تقرير أن إنكار الأسماء والصفات إنكار لوجود الله: ١٦٦
قول عبدالله بن المبارك: ١٦٧
قول جرير بن عبدالحميد: ١٦٧
العلو عام على جميع المخلوقات، والاستواء خاص بالعرش: ١٦٨
آخر المخلوقات وأعلاها وسقفها: عرش الرحمن: ١٦٨
الله ﷻ حامل للعرش بقوته وقدرته: ١٦٨
لا يتحرج الإنسان في الدعاء على الجهمية: ١٦٨
قول عبدالرحمن بن مهدي: ١٧٠
قول يزيد بن هارون: ١٧٠
قول سعيد الضبعي: ١٧٠
قول عباد بن العوام: ١٧٠
بين ابن مهدي أن الجهمية إذا نفوا الكلام، فإنهم ينكرون جميع الرسالات: ١٧٠
بين يزيد بن هارون أن من أنكر شيئا يخالف الفطرة فهو جهمي: ١٧١

قول الجهمية شر من قول اليهود والنصارى: ١٧١
وجهه: أن اليهود والنصارى وافقوا المسلمين في أن الله على العرش: ١٧٢
الجهمية كفرهم خمسمائة عالم: ١٧٣
قول أبي الحسن الأشعري: ١٧٤
الإقرار هو: الإيمان: ١٧٤
الرد على الجهمية والمعتزلة والأشاعرة: ١٧٥
المعتزلة يثبتون الأسماء بلا معاني: ١٧٦
الأقوال في المراد بقرب الله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾: ١٧٧
أبوالحسن الأشعري رجع لمعتقد أهل السنة لكن بقيت عليه أشياء بسبب طول مكثه على مذهب المعتزلة والأشاعرة: ١٧٨
نقل ثان عن أبي الحسن الأشعري في مسألة الاستواء: ١٧٩
نفي الجسم وإثباته لم يرد في الكتاب والسنة: ١٧٩
الجسم لا يُثبت ولا يُنفى: ١٨٠
كذلك لفظ العرض: ١٨٠
وهكذا القول في الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها في الكتاب والسنة: ١٨٠
تتمة لكلام أبي الحسن الأشعري: ١٨٣
أهل البدع عكسوا معنى الآيات في طلب فرعون من هامان بناء صرح: ١٨٤
تتمة لكلام أبي الحسن الأشعري: ١٨٦
الحرورية هم: الخوارج: ١٨٧
رد أبي الحسن الأشعري على أهل البدع: ١٨٧
لما كان لا يجوز عند جميع المسلمين أن تقول: إن الله مستو على كل شيء، بطل بهذا تفسير الجهمية: ١٨٨
تتمة لكلام أبي الحسن الأشعري: ١٨٩
أبو الحسن الأشعري يقول بقول أحمد ويتمسك به: ١٨٩
وصف أبي الحسن للإمام أحمد بوصف فيه مبالغة: ١٩٠

الموضوع | رقم الصفحة

أبان الله بأحمد بن حنبل الحق في فتنة خلق القرآن: ١٩٠
قول أبي بكر الآجري: ١٩٢
كلمة (أيش) نحت من قولهم: أي شيء: ١٩٣
تأول بعض المبطلين لقول ابن أبي زيد (فوق عرشه المجيد بذاته): ... ١٩٥
قول أبي عمر الطلمنكي: ١٩٧
قول محمد بن عثمان بن أبي شيبة: ١٩٧
قول يحيى بن عمار: ١٩٧
قول أبي نصر السجزي: ١٩٧
قول أئمة ومن لا يحصيهم إلا الله كلهم بالإثبات: ١٩٧
ابن أبي زيد في كتابه: الرسالة، فرّق بين الاستواء والاستيلاء: ١٩٧
اضطر العلماء إلى إطلاق (بذاته) في علو الله: ١٩٨
قول أبي نعيم الأصبهاني: ١٩٩
قول يحيى بن عمار: ١٩٩
الواقفة هم: ٢٠١
اللفظية هم: ٢٠١
قول معمر بن أحمد: ٢٠٣
قول أبو عثمان الصابوني: ٢٠٥
قول الحافظ البيهقي: ٢٠٥
قول أبي عمر ابن عبدالبر: ٢٠٩
حديث النزول من حجج أهل السنة على المعتزلة: ٢١٠
الخلق مضطرون إلى إثبات أن الله في العلو: ٢١١
ليس الإنسان وحده مفطورا على هذا، بل الدواب كذلك: ٢١١
المعية نوعان: ٢١٤
خاتمة: ٢١٧
فهرس الموضوعات والفوائد: ٢١٩